الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الأمير عبد القادر — كلية أصول الدين

للعلوم الإسلامية –قسنطينة — قسم العقيدة ومقارنة الأديان

الخير والشرّ عند أوغسطين

دراسة تحليلية نقدية

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في مقارنة الأديان

تخصص: مسيحية

إعداد الطالب: محمود كريفار

إشراف الدكتور: مسعود حايفي

لجنة المناقشة

أ.د سعيد عليوان	أستاذ محاضر	جامعة الأمير عبد القادر	رئيسا
د مسعود حايفي	أستاذ محاضر	جامعة الأمير عبد القادر	مشرفا ومقررا
أ.د عبد الوهاب فرحات	أستاذ محاضر	جامعة الأمير عبد القادر	عضوا مناقشا
أ.د لمير طيبات	أستاذ محاضر	جامعة الأمير عبد القادر	عضوا مناقشا

السنة الجامعية: 1432 – 1433هـ – 2011 – 2012م

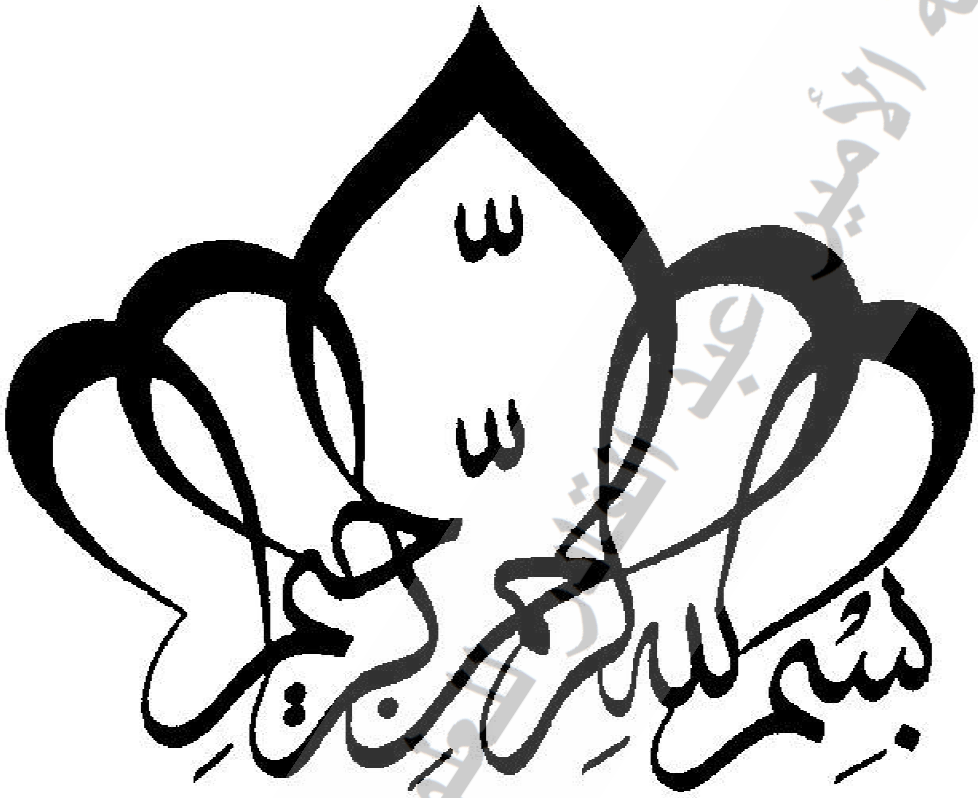

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
www.kassimmedia.com

إهداء :

أهدي هذا العمل المتواضع إلى عائلتي الكريمة ابتداء من الوالدين

الكريمين برّا بهما وإحسانا،

وإلى كل من أحبتهم وأحبوني في الله

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

شكر و تقدير:

الشكر للّه سبحانه وتعالى وحده الذي أنعم علينا بالصحة والعافية والقدرة على إتمام هذه المذكرة.فهو الموفق لما فيه الخير والبركة. وهو المعين على كل خطوة وحركة، فله الحمد والشكر والتبجيل.

كما أتقدم بالشكر الجزيل إلى أستاذي الكريم المشرف الحميم الدكتور مسعود حايفي على توجيهاته القيمة والتي لازمتني منذ أن كان مشرفا علي لمــذكرة الليسانس إلى مـذكرة الماجستيــر حيث كـانت إفـادته تهـدف إلى إخــراج هـذا البحــث على هــذه الصـورة، فلــه كل الشكــر والتقــدير.

ثم لا يفوتني أن أوجّه كل التحية والاحترام والتقدير إلى جميع الأساتذة في جامعة الأمير عبد القادر وبالخصوص أساتــذة قسم العقيــدة ومقــارنة الأديان.

وحتى لا أكـون ناكـرا للجميل أتقـدم بالامتنــان والشكـر الخالص لعمّال المكتبة والدوريات الذين لم يبخلوا علينا بالمساعدة مما في وسعهم.

وإلى كل من له يد العون في إنجاز هذا البحث ولو بالدعاء. وبارك الله في الجميع.

بسم الله الرحمن الرحيم

"لايسئم الانسان من دعاء الخير وإن مسّه الشّر فيئوس قنوط." فصّلت: الأية 49.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المقـــــدمة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تمهيد:

الحمد لله العلي المنان الذي أنزل على سيدنا محمد القرآن وجعل الإسلام خيرة الأديان وجعل الشر فيمن خالفه على مرّ الأزمان. نحمده حمدا كثيرا كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه. ونصلي ونسلم على سيدنا ونبينا محمد عبد الله ورسوله، المبعوث من ربّه إلى الإنس والجان، وعلى آله وصحبه الطيبين الأخيار، وعلى التابعين ومن تبعهم إلى يوم الدين. وبعد:

إنّ الطبيعة الإنسانية فطرية وجاهلة بطبيعة الخير والشرّ في الحياة، لكنّها تكتسبها من المحيط. فكلّما كان المحيط يتّسم بقيم الخير، إكتسبت الكينونة قيمه. وكلّما سادت قيم الشرّ في المحيط، تأصّلت قيمه في الذّات. وبالرّغم من ذلك فإنّ الخيار النّهائي، يعود إلى الكينونة ذاتها ومدى ميلها نحو الخير أو الشرّ. فإن كانت طبيعتها المكتسبة اعتادت على النّهل من منبع قيم الخير أصبحت خيّرة، وإن نهلت من منبع قيم الشر اعتادت على سلوك الشرّ في مسيرة حياتها.

ولأهمية هذا الموضوع فقد غاص فيه كثير من المفكّرين الكبار وجهابذة عصرهم، فمنهم من وصل إلى حل مشكلة الخير والشرّ، ومنهم من زادت عليه الإشكالات، ومنهم من فصل في بعض منها، لكن يبقى الإشكال دائما واقعا ومطروحا، خاصة لأصحاب النّفوس الحيارى. وهذا إن دلّ على شيء فإنّما يدل على قيمة هذا الموضوع من النّاحية العلمية والواقعية. وانطلاقا من هذا واتّباعا إلى التخصص الذي أنتمي إليه تبيّن لي أن أناقش هذه المسألة عند أحد الآباء الرسليّين، والذي كان له الأثر الكبير على الدّيانة المسيحية وهو الخير والشرّ عند القدّيس أوغسطين.

إشكالية البحث:

-كيف يمكننا أن نوفق بين الخير والشر وما مصدر كل منهاما عند أوغسطين؟

- ثمّ إنّ البحث في هذا المجال يطرح جملة من التساؤلات... من هو القدّيس أوغسطين؟ ما طبيعة الخير والشرّ ؟ كيف تمّ تحديد مفهوم مسألة الخير والشرّ قبله؟ ما هي فكرة الخير والشرّ عنده؟ وما هي الخلفية والمرجعية التي استند إليها؟ هل كانت أفكاره مؤثرة في الدّيانة المسيحية، أم أنّ المسيحية هي التي أثرت فيه وكونت تفكيره؟.

أسباب اختيار الموضوع:

أصّل اختياري للبحث في هذا الموضوع جملة من الدوافع، أهمها:

أولاً: طبيعة تخصصي كوني طالبا في قسم العقيدة ومقارنة الأديان، تخصص مسيحية، فكان هذا الموضوع عبارة عن تتمة وزاد أدعّم به مكاسبي العلمية. خاصة وأنّ القدّيس أوغسطين واحد من علماء الجزائر والذي يعتبر من أهمّ الشخصيات البارزة في الدّيانة المسيحية، وأحد الآباء الرُسليّين عندهم. وهذا الشيء الذي زادني إصرارا في اقتحامه.

ثانياً: التعمق في التراث الفلسفي المسيحي ومحاولة الإطّلاع على المسيحية وتعاليمها.

ثالثاً: ميلي الفكري والنّفسي إلى طرق مثل هذه المواضيع، فجاء الموضوع مشبعا لشغفي، خاصة لمّا أحسست أنني سأجني منه فائدة لنفسي ولغيري.

رابعاً: نزولا عند رغبة بعض الأستاذة في التخصص، والذين كان لهم الدور الكبير في دراسة هذا الموضوع.

أهداف الموضوع:

أول ما نهدف إليه في هذا البحث هو الوصول إلى إجابات واضحة ودقيقة عن الإشكال المطروح والمتمثل في:

1/ التعريف بالقدّيس أوغسطين وتسليط الضوء حول فكره وثقافته ومؤلفاته.

2/ الوصول إلى مفهوم الخير والشرّ وطبيعتهما، سواء من الناحية اللغوية، أو ومن الناحية الإصطلاحية، وذلك عند الفلاسفة وكبار المتكلمين.

3/ تقديم صورة واضحة عن الخير والشرّ قبل القدّيس أوغسطين، وذلك عند أصحاب الحضارات في تلك الحقبة.

4/ يهدف البحث إلى تحليل وتقييّم مسألة الخير والشرّ من جميع النّواحي عند القدّيس أوغسطين.

الدراسة السابقة:

العنوان: "الخير والشرّ عند القدّيس أوغسطين"

بعد الإطّلاع على الفهارس الخاصة بالرسائل الجامعية والدوريات، وبعد الفحص والتمحيص في الشبكة العنكبوتية للأنترنت، لم أقف على موضوع مشابه له من حيث العنوان ولا الدّارسة ولا المنهج، ولكن هذا لا ينفي بعض الدّراسات الخاصة عن القدّيس أوغسطين مثل: لاهوت التاريخ عند القدّيس أوغسطين، لزينب محمود الخضيري، وأعمال الملتقى الدولي الأول: الفيلسوف الجزائري القدّيس أوغسطين إفريقيته وعالميته، منشورات المجلس الإسلامي الأعلى الجزائر.....

منهج البحث:

إنّ طبيعة الموضوع هي التي تحدد نوع المنهج المعتمد في الدراسة. وعليه فإنّ المنهج الأنسب لهذا الموضوع وما شابهه هو المنهج التاريخي والمنهج الوصفي، وذلك في تتبع حياة القدّيس أوغسطين ووصفها وما اتصلت به من ظروف اجتماعية وسياسية وفكرية وعلمية، متمثلة في ولادته ونشأته وكذا تعلمه وآثاره العلمية إلى وفاته. والمنهج التحليلي النّقدي وذلك في تحليل كل من معنى الخير والشر من خلال طبيعتهما ، وأصلهما وقيمتهما عنده وعند من سبقه، وكل ما أنتجه من فكر حول هذا الموضوع.

أهم الصعوبات:

لكل طالب علم أو باحث في مجال ما عقبات وصعوبات تواجهه خلال بحثه، وقد تعيقه للوصول إلى مبتغى معين. وممّا واجهني في بحثي هذا مجموعة من العراقيل منها:

أولاً الوقت الذي داهمني حيث أنّني أنجزت مذكرة في المخطوطات وأنهيت البحث فيها وكتابتها، ولكن تمّ رفضها وذلك لعدم تناسقها مع التخصص، فتحتّم عليّ أن أنجز مذكرة أخرى وهي الخير والشرّ عند القدّيس أوغسطين. فكان الجهد مشتّتا ومضاعفا بين هذا وذك.

ثانيًا نقص المصادر العربية التي تناولت حياة القدّيس أوغسطين والظّروف التي عايشها. فجّل المصادر المتوفرة باللغة الأجنبية، ممّا يستوجب علينا ترجمتها، وهذا من أسباب أخذ الوقت الكثير وتجاوز التاريخ المحدد لإنجازها.

ثالثًا: عدم وفرة المصادر الأصلية المترجمة التي ألّفها القدّيس أوغسطين، والتي تحصلنا عليها وصلنا إليها بشقّ الأنفس.

رابعاً: صعوبة التعامل مع الكتب الفلسفية وأفكار الفلاسفة الكبار وتحليلها للوصول إلى المبتغى المعيّن.

ناهيك عن صعوبات أخرى تقنيّة قد استغنينا عن ذكرها، والتي صادفتنا أثناء إنجاز البحث.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

خطة البحث:

*الفصل التمهيدي: ترجمة القدّيس أوغسطين

المبحث الأول: حياته وفكره

1/ المولد والنّشأة

2/فكره

المبحث الثاني:ثقافته ومؤلفاته

1/ثقافته

2/ مؤلفاته

*الفصل الأول: طبيعة الخير والشرّ

المبحث الأول: مفهوم الخير

1/ تعريف الخير لغة واصطلاحا

2/ الخير بين المطلق والنسبي

3/ الأفعال الخيّرة وعلاقتها بالإرادة

4/ علاقة الخير بالحق والجمال

المبحث الثاني: مفهوم الشرّ

1/ تعريف الشرّ لغة واصطلاحا

2/ مشكلة الشرّ

3/ أنواع الشرّ

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الثالث: الخير والشرّ – أصلهما و قيمتهما–

1/أصل وجود الخير و الشرّ في الكون

2/إدراك القيمة الأخلاقية للخير والشر

* الفصل الثاني: الخير والشرّ قبل القدّيس أوغسطين.

المبحث الأول: الخير والشرّ في الفكر الأخلاقي اليوناني.

1/ الخير والشرّ في فلسفة سقراط الأثيني

2/ الخير والشرّ في فلسفة أفلاطون

3/ الخير والشرّ في فلسفة أرسطو

4/ الخير والشرّ في الفلسفة الأبيقورية والرواقية

المبحث الثاني: الخير والشرّ في الفكر الأخلاقي الهيلينستي والروماني

1/ الخير والشرّ في الفلسفة الأفلاطونية الحديثة

2/ الخير والشرّ في فلسفة فيلون الإسكندري

3/ الخير والشرّ في المانوية

* الفصل الثالث: الخير والشرّ في فكر القدّيس أوغسطين

المبحث الأول: المسيحية في عصر القدّيس أوغسطين

1/ الأوضاع الفكرية والسياسية في عصر القدّيس أوغسطين

2/ ظهور المسيحية وتطورها

3/ الأخلاق المسيحية وعلاقتها بالخير والشرّ

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الثاني: الخير والشرّ في فلسفة أوغسطين

1/مفهوم الخير والشرّ في المدينتان

2/أصل وجود الخير والشرّ عند أوغسطين

3/صور الخير والشرّ وغايتهما عند أوغسطين

المبحث الثالث: أثر وجود الخير والشرّ في المجتمع المدني

1/ السعادة والفضيلة

2/ الحرية والمسؤولية

3/ أثر القانون والعدالة في المجتمع المدني

الخاتمة

لقد اعتمدت في بحثي هذا جملة من المصادر والمراجع نذكر أهمها:

القرآن الكريم ،الكتاب المقدس، أوغسطين:الإعترافات، أوغسطين:مدينة الله، القديس أوغسطين:تعليم المبتدئين أصول الدّين المسيحي، أحمد أمين:الأخلاق، أحمد شلبي:المسيحية، أميرة حلمي مطر: الفلسفة اليونانية "تاريخها ومشكلاتها"، أميرة حلمي مطر:جمهورية أفلاطون،

ألبيرباية: أخلاق الإنجيل، إبراهيم شوقي أباضة وعبد العزيز الغنام: تاريخ الفكر السياسي ،إدوارد جونوا: الفلسفة الوسيطية، أنجلوشيكوني: أفلاطون والفضيلة،إسماعيل زروخي:دراسات في الفلسفة السياسية، جان جاك شوفاليه:تاريخ الفكر السياسي من المدينة إلى الدولة القومية،ترجمة محمد عرب صاصيك، جون لوك:رسالة في التسامح...إلخ

الفصل التمهيدي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل التمهيدي: ترجمة للقديس أوغسطين

المبحث الأول: حياته وفكره

1/ المولد والنّشأة

2/فكره

المبحث الثاني:ثقافته ومؤلفاته

1/ثقافته

2/ مؤلفاته

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تمهيد:

تميّزت الفلسفة الوسطية ببروز العديد من العقول الفكرية التي كان لها الدّور الفعّال في ساحة الفكر، وهذا ما لمحناه من خلال البحوث والدراسات الكثيرة لمواضيع جد هامة في هذا العصر، وذلك من أجل إضفاء الضوء عليها وتوضيح عدة مسائل غامضة ولعلّ من بين أهم شخصيات هذه الحقبة وأحد كبار ممثليها نجد القدّيس أوغسطين الذي يعد من أهم الشخصيات البارزة في الدّيانة المسيحية ، التي يفتخر الفكر البشري بوجوده من خلال ما قدّمه لنا من إسهامات فكرية، وهذا ملحوظ في تناوله لعدّة مسائل من بينها مسألة الخير والشرّ. وقبل الخوض في هذه المسألة يستوجب علينا معرفة هذه الشخصية. فمن يكون القدّيس أوغسطين، ما أصله وأين نشأ؟ كيف كوّن فكره وثقافته؟ وما هي أهمّ أعماله ومؤلفاته؟

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول: حياته وفكره

إنّ سلطة أوغسطين في العصر الوسيط، التي لا تعادلها سوى سلطة أرسطو، بلغت من قوة التأثير درجة، بحيث أنّه ما من عقيدة وسيطية لم تستند عليها أو تستدعيها. وكان تأثيرها في الجميع بعيدا، وكانت ينبوعا لتيارات متنوعة، بل إنّ نفس النّصوص كانت تؤخذ بمعان شتى لتدعم مواقف متناقضة لمفكرين مختلفي الأهداف والمنهج. ومن هذا المنطلق حاولنا أن نتناول حياة القدّيس أوغسطين، من خلال مولده ونشأته إلى وفاته، والعوامل التي ساهمت في بلورة فكره.

1/ – المولد والنّشأة :

أ – مولده: ولد القدّيس أبليوس أوغسطين في 13 تشرين الثاني(جانفي) سنة 354م بتاغسطا المعروفة بسوق أهراس في أقصى الشرق الجزائري[1] ،في بيت شريف من أب وثني، وكان والده باتريكوس وثنيًا فظّ الأخلاق، أمّا أمه مونيكا فكانت مسيحية تحتمل شرور زوجها، وبطول صبرها كسبت زوجها حتى أنّه قبل المسيحية كدين يؤمن به، حين بلغ أوغسطين السادسة عشرة من عمره.

ب – نشأته: أرسله أبوه إلى قرطاجنّة[2] ليتعلم البيان، وهناك التقى بأصدقاء أشرار، وصار قائدًا لهم يفتخر بالشر، فكان منهمكا في اتباع اللذّات والشهوات التي طلبها في شهوات الجسد[3].

---

[1] – موسى معيرش: قضايا الفلسفة العامة، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع، الجزائر، قسنطينة ،ط1، ص137.

[2] – قرطاجنة : بلد قديم من نواحي إفريقية، كانت مدينة عظيمة شامخة البناء أسوارها من الرخام الأبيض، وبها من العمد الرخام المتنوع الألوان مالا يحصى ولا يحد، وهي على ساحل البحر بينها وبين تونس اثنا عشر ميلا. انظر ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1977، ج 4، ص 323.

[3] – القديس أوغسطين: الاعترافات، ترجمة الخوري يوحنا الحلو، دار المشرق ، لبنان، بيروت،1991، ط4، ج1، ص1.

فتحولت حياته إلى المسارح والفساد. أمّا عن دراسته فقد عكف على دراسة الفقه والقوانين مشتاقًا إلى أن يرتقي إلى المحاماة والقضاء، وقد تمكن من اللاتينية حتى افتتح مدرسة لتعليم البيان وهو في التاسعة عشرة من عمره.

أعجب أوغسطينيوس بمذهب شيشرون، فقرأ كتابه "هورطانسيوس" الذي أثار فيه الشوق إلى العفّة والبحث عن الحق، كما قرأ الأناجيل، لكن ليس بروح الإيمان والتواضع وإنّما بكبرياء وحب للاطّلاع على ما فيه، فأغلق على نفسه في "المانوية".التي استهوته في البداية إلاّ أنّه لم يجد عندهم ما يروي عطشه المعرفي ولا راحته النّفسية، رغم أنّه رضي لمدة وجيزة بتعاليمهم عن أصل الكون، ونهاية المخلوقات ووجود الخير والشرّ[1]، إلاّ أنّ مبادئ الزندقة والخلط بين الله والمادة جعلته يتركها بعد تسعة سنوات لأنّها لم توصله إلى المعرفة الحقيقة التي كان يرجوها. لقد أصبح القديس أوغسطين أستاذا لعلم البلاغة في قرطاجة عام (374م)[2]، ثمّ سافر إلى روما[3] سنة(38م)، ثم ميلانو سنة(384م) قرأ لأرسطو ،وأفلاطون كما تأثر بالأفلاطونية الجديدة وهو في الثلاثين من عمره حين أطلعه عليها "أمبراوز"[4] ، وهكذا أصبح فكره متأثرا بالمانوية والفلسفة اليونانية، تلقى التعميد بعد اعتناقه المسيحية وسماعه من "القديس أمبروسيوس" تفاسيره الروحية للعهد القديم الذي كان المانيون يتجاهلونه، كما سمعه في رده على أتباع "ماني" وغيرهم من الهراطقة، فبدأ نور الحق ينكشف أمامه. هنا أدرك أوغسطينوس ما للكنيسة من علامات وأنها من الله، فيها تتحقق نبوات العهد القديم، وفيها يتجلى الكمال الروحي، وتظهر المعجزات، وأخيرًا انتشارها بالرّغم ممّا تعانيه من ضيق.

---

[1] – الإعترافات، نفس المصدر، ص1.

[2] – إبراهيم شوقي أباضة وعبد العزيز الغنام: تاريخ الفكر السياسي ،(ار النجاح،لبنان، بيروت،1993،ص108.

[3] روما: وهم جيل في بلاد واسعة تضاف إليهم فيقال بلاد الروم، واختلفوا في أصل نسبهم، أما حدودها فمشارقهم وشمالهم الترك والخزر والرّس وهم الروس، وجنوبهم الشام والإسكندرية، ومغاربهم البحر والأندلس. ياقوت الحموي، نفس المرجع، ج3، ص98/97.

[4] – ادوارد جونو: الفلسفة الوسيطية،دار الأندلس، لبنان،بيروت، 1986،ص31.

ج- وفاته:

توفي أوغسطين في 430/08/29م، بمدينة عنابة، وذلك بعد أن طبقت شهرته الأفاق، وأجاب عن الأسئلة العديدة التي كانت ترده من شتى الأرجاء وتدور حول مختلف الأمور.[1]

2/- فكره:

كان موقف أوغسطين من المسيحية إيجابيا إلاّ أنّه لم يسلّم بقبولها مطلقا، كما لم يرفضها رفضا تاما، ولقد انتقل في مراحل حياته بين مذهب وآخر[2].

اعتبر القدّيس أوغسطين أنّ الفلسفة هي كل ما تدعوا إليه المسيحية في أناجيلها، فهي وحدها التي توصلنا إلى الحقيقة، لذلك كان طلب الحقيقة يقود إلى مطالب تتجوهر فيها العقيدة المسيحية، ومن أهم القضايا الفلسفية التي شغلت بال أوغسطين تلك التي كانت تتمثل في الطريقة إلى تمكن الإنسان من الحصول على الحكمة والانتقال إليها، إذ طلبها يفترض المعرفة بها ضرورة، حيث العلم بالشيء مرغوب- أي الحكمة-، ينبغي أن يتقدم ساعيا صوبها، ويبدو أنّ هذا الربط بين المعرفة والحكمة انتقل إلى أوغسطين من الأكاديميين الذين كانوا يرون أنّ قوام الحكمة هو أنّ الإنسان لا يعرف شيئاً، أمّا الكوجيتو الذي اعتمده في تفسير أرائه، فمبدأه ينص على قوله "على أنّني إذا كنت مخطئاً فأنا موجود"[3]، متمحوراً على منهج الإيمان المنظّم الذي يقرر ألّا سبيل إلى الفهم بغير الإيمان أولا.

---

[1] - علي زيعور: أوغسطنيوس مع مقدمات في العقيدة المسيحية والفلسفة الوسيطة، دار إقرأ، ط1، ت 1403هـ، 1983، ص 101.

[2] -موسى معيرش: مرجع سابق، ص144.

[3] -حزبي عباس عطيتو وماهر عبد القادر محمد: دراسات في فلسفة العصور الوسطى، دار المعرفة الجامعية، لبنان،بيروت، 2005، ص 95.

حيث الإيمان هو الذي يمدنا بالأساس الذي لا بد أن يبدأ منه طلب الحكمة. والإيمان هنا يراد به محبة الشيء الذي نريد معرفته. ولعل استكشافه للحكمة عن طريق الإيمان هو الذي قاده ثانية إلى المسيحية وبدء استقصاءاته المعرفية عن طريق العقل الذي حسم أمره بالإيمان ليشرع ببيان ما للإيمان من قيمة عقلية، ذلك أنّ البصيرة- عنده- إذا زكّيت بالإيمان، انفتح العقل على إشراقات الحقيقة التي لا تتبدل- أي الله الذي هو في السماوات العليا وفي الباطن أيضا، إذ لا يخلو منه شيء وهو فوق كل شيء، وعلى ضوء وهدى من هذه الإشراقات تتيسر لنا معاني وتجليات فكره الفلسفي، فصورة الكون عند أوغسطين تقوم على أساس من الجدل الأفلاطوني بين العالم الخارجي والعالم الباطني، العالم السفلي والعالم العلوي، المحسوس والمعقول، الجسدي والروحي، حيث طريق الحكمة حركة يتّجه بها العقل إلى الباطن ومن ثم إلى أعلى نحو الله، فإنّ مفهوم الألوهية عنده أقرب إلى الكتب المقدسة منها إلى الأفلاطونية. وكذلك فكرته عن الخلق أقرب إلى هذه الكتب منها إلى أيّة فلسفة أو نظرة عقلية، لذلك وجدناه ينظر إلى العالم المادي بشيء من التوقير لا تتوفر عليه الأفلاطونية بكل مدارسها وتياراتها.

كما علم أوغسطين من قراءته " لهورطاسينوس" أنّ الفلسفة هي وسيلة تحقق السعادة التي هي طلب كل إنسان، فبحث في السعادة، فوجد أنّ الموضوع الذي تحققه يجب أن يتوفر فيه شرطان :أحدهما أن يكون ثابتا مستقلا عن تقلب الاتفاق والخلط وإلاّ السعادة بالقلب عليها وخوف زوالها، والشرط الآخر أن يكون الموضوع كاملا عليه، إذ أنّنا لا نرضى تمام الرضا، إلّا بالخير الأعظم وليس بتوفر هذان الشرطان في غير الله، لأنّ الله وحده ثابت كامل، فنحن إذا نطلب الله، علمنا بذلك أو م نعلم :"لقد صنعتنا لأجلك يا رب، وإن قلنا ليزال مضطربا حتى يطمئن إليك "[1]

[1] أوغسطين : الاعترافات، مصدر سابق، ج1، ص3.

ويرى أوغسطين أنّ الفلاسفة قد استكشفوا حقائق جليلة، ولكنّهم لم يكتشفوا كل الحقيقة الضرورية للإنسان، فوقعوا في أضاليل خطيرة، وليس يستطيع العقل بقوته الطبيعية أن يهتدي إلى الحقيقة بأكملها وأن يحترز من كل ضلال، وفوق ذلك ليس للفلسفة بذاتها قوة على تحويل النّفس من مجرد المعرفة إلى العمل الفاضل، فالفلسفة قاصرة من هاتين الناحيتين، والمسيحية وحدها تعرض عليها الحكمة كاملة عن الله والنّفس وتوفر لنا الوسائل الفعّالة للحياة الصالحة والاتحاد بالله، وهي النّعم التي تحملها إلينا الأسرار المقدّسة، فإن أردنا السعادة وأردنا الحكمة وجب علينا الإيمان[1].

إنّ منهج القديس أوغسطين – كما هو في طبع التراث الأوغسطيني برمته – ينطلق من المبدأ الشهير :"أؤمن كي أتعقّل ..." بمعنى أنّه حتى مسألة إثبات وجود الله في حد ذاته على الإيمان لا يعني هذا بأنّه يغفل أهمية البراهين العقلية والتدليلات الفكرية :"العقل قادر بلا ريب أن يثبت بمفرده وجود الله، إذ أن تلك الحقيقة قد عرفها الفلاسفة الوثنيون، أي بمعزل عن كل وحي وعن كل إيمان "[2] ، ويعني ذلك أيضا أنّ الإيمان لا يمنع العقل عن تقديم أدلته، وأنّ العقل يساعد المؤمن على اكتشاف أجلّ للجانب العقلاني في الإشكالية. وبنظره أنّ العقل نفسه هو الذي يود أن يسبقه الإيمان لأنّ فلسفة القدّيس أوغسطين كانت تتمحور حول إشكالية التوفيق بين الدّين والعقل، وبين الدين والسياسة في محاولته الجمع بين الدولة والكنيسة كما كانت نتاج لتأثره بالفلسفات السابقة له[3].

[1] – يوسف كرم :تاريخ الفلسفة الأوروبية في العصر الوسيط، دار النجاح، لبنان،بيروت، دت، ص35/34.

[2] –عوض سمعان: فلسفة العصور الوسطى"كيفية الإفادة من كفار المسيح" دار المعرفة، لبنان، بيروت، 2005، ص60.

[3] – يوسف كرم: مرجع سابق، ص36.

المبحث الثاني: ثقافته ومؤلفاته

اطلاعه على علوم عصره تام، وإحاطته بشتّى المعارف والروافد الفكرية يبرز في لائحة مؤلفاته الكثيرة. وتثير ثقافته مشكلات ترتبط بصدقه وبأمانة اعترافاته.

1/ ثقافته:

– **أ/ انشغاله بالخطابة:** أظهر القدّيس أوغسطين كفاءات ممتازة منذ حداثته في معهد مادور[1] ،كان دائما في المرتبة الأولى في الخطابة (البيان). استشّف بفهم عميق مساوئ المحاماة فأعرض عنها، وكان لا يكل عن الإطلاع حتى في أيامه العابثة، على كل ما تقع عليه يداه. أنشأ مدرسة للخطابة وهو لايزال في التاسعة عشرة من عمره في قرطاجة، بمساعدة أحد المتموّلين، وكان تلاميذه في العشرينات أيضا، بحيث أن الدروس كان يتبعها مناقشات حول مسائل عديدة تسرّ إليها نفسه.

تجلت مواهبه هنا، فنصحوه بالذهاب إلى روما لإنشاء مدرسة للخطابة فيها. ففعل، إلاّ أنّ الطلاب كانوا لا يدفعون له أجرا وإن شهدوا بقدراته.

انتقل إلى ميلانو حيث حصل على وظيفة رسمية هي وظيفة معلم للخطابة في (سنة 384م)، حيث لحقه إليها بعض أصدقائه الإفريقيين، وأمّه أيضا.

– **ب/ ثقافته الكلاسيكية:** لم يقف ضد تعلم الثّقافة الكلاسيكية، فقد انتفع كثيرا من الآداب القديمة، وهو مدين لها بقسط وافر من المعارف، أنّه مثلا يستشهد13 مرة بشيشرون، ويورد خمسة أقوال لتيرانس، وواحدة لـ أوفيد في"الاعترافات" ويورد هؤلاء وغيرهم آلاف المرّات في كتب أخرى له.[2]

---

[1] – معهد مادور: إحدى المدن الصغيرة في نوميديا، تبعد 25كلم تقريبا من تاغشطا. كانت مركزا ثقافيا مرموقا، أعطت للعالم الروماني الخطيب الشهير: أبولي، انظر، علي زيعور، أوغسطنيون، مرجع سابق، ص 103.

[2] – علي زيعور، نفس المرجع، ص 104.

ومن خلال هذا جرى الاندماج بين الثّقافة القديمة والثّقافة الجديدة، بين الثّقافة الإنسانية والثّقافة الإلهية. فكان القدّيس أوغسطين هو مثال المفكّر المسيحي الذي صهر بين الحكمتين، وصاغ الحقائق المعتقدية بأسلوب أغنته روعة التراث القديم، وقائم على مداميك من جودة الصيّاغة أشادها معلّماه الكبيران: شيشرون وفيرجيل.

-ج/ ثقافته الأفلاطونية المحدثة:

لقد وقع بعض كتب الأفلاطونيين بين يديه، [1]فقرأ لفورفوريوس الكتب الآتية:" عودة النّفس إلى الله" وكذا " فلسفة الوحي" و" والمناجيات" وقرأ كتاب "التسّاعات" لأفلوطين. فقد خدمت الفلسفة الأفلاطونية أوغسطنيوس من النّاحية الإجابية بأخذه منها الكثير، ومن النّاحية السلبية برفض لبعضها وإظهار آرائه عكاستها. تبقى هذه، رغم كل ذلك، من مقوّمات الأوغسطينية. لم ينفك القديس أوغسطين عن استغلالها، وارتيادها، والتعمّق فيها، وتقليبها مبيّنا في ذلك كلّه أنّها في جوهرها قابلة لأن تتناسق وتنسجم مع المسيحية. بل إنّه ذهب إلى حد الإعتقاد بأنّه سيكون يسيرا عليه جعل الأفلاطونية يعتنقون ديانته، هذا مع تشديده على أنّه لم يأخذ مسيحيته عنهم، وإن اعترف أنّه خالطهم، وانتفع منهم، وأناروا له الطريق نحو المسيحية دون أن يجعلوه همّا يسير على هذا الطريق[2].

[1] – أوغسطين: الإعترافات، ج1، ص 230.

[2] – علي زيعور، أوغسطنيوس، مرجع سابق، ص 107.

2/: مؤلفاته

ترك أوغسطين مؤلفات جمّة تتجاوز المائتي رسالة letters والخمس مائة موعظة Sermons، ومائة وثلاثة عشر مطولة Traités...[1]

ضاع قسم منها وهي موضوعة باللّاتينية اشتهرت بالمتانة والبلاغة وقوّة البيان وهي تنقسم إلى مؤلفات دينية وسياسية وأشهرها وأبقاها[2]:

– أ/ ضد الفلاسفة الأكادمين:

وضع هذا الكتاب Contra academicos لبحث مسألة اليقين،كان هؤلاء يشكون بكل شيء وقد تبنى القدّيس أوغسطين وجهة نظرهم إلى حد ما دون أن يمنحهم ثقته الكاملة ولاسيما روحه ونفسه ، إذ أنّه تعلق فقط بالقول بنزعة احتمالية معتدلة، وحتى هذا لم يدم لديه، إذ لم يلبث أن تخلى عن المذهب برمته غبّ سنتين.[3]

– ب/ الاعترفات:

وهو كتابه الأكثر تأثيرا والأعمق تعبيرا، كتب فيه سيرة حياته ومساره الفكري وطريق اهتدائه ورحلته إلى معرفة الله والإيمان وهو يروي رحلة أوغسطين نحو المسيحية[4].

–ج/ كتب في الرد على المانويين:

ناقش فيه أخلاق الكنيسة الكاثوليك وأخلاق المانويين .

---

[1] – علي زيعور : نفس المرجع، ص 108.

[2] – علي زيعور: الفلسفة في أوروبا الوسيطة، في عصر النهضة والإصلاح، المكتب العالمي للطباعة والنشر، لبنان،بيروت، ص177/176.

[3] – على زيعور: أوغسطنيوس، مرجع سابق، ص 108.

[4] موسى معيرش: مرجع سابق، ص140.

– د/ كتب وضعها للرّد على بدع المسيحيين:

مجال عمله ونشاطه في هذا المضمار ملحوظ فقد كتب مثلا: الردّ على البلّاجيين، الردّ على الدوناتيين، الردّ على رسالة بارمينيان، الردّ على رسالة باتيليون الدوناتي في سنة 402م في المعمودية، كما ردّ أيضا على الأريوسيين، حيث كانت الأريوسية أنذاك نشيطة وتستحوذ على كثير من العقول.[1]

– هـ/ كتاب مدينة الله:

يشتمل كتاب مدينة الله على اثنين وعشرين فصلا ، أراد فيها صاحبها أن يبين فضل الآخرة على الحياة الدنيا ضمن منظور عقدي مسيحي، كما يؤول فيه كتاب الإنجيل من خلال اجتهاداته وتجاربه الدّينية والروحانية متأثّرا في ذلك بالفلسفة الأفلاطونية والأفلاطونية المحدثة والعقيدة المانيكية.

وضعه أوغسطين في مرحلة مأساوية من تاريخ أوروبا، ذلك أن روما سقطت في سنة 410 بيد البرابرة تحت قيادة ألاريك، وولّد دمار تلك المدينة، التي كانت تعتبر عاصمة الدنيا، انفعالا واسعا أضيف إليهما شماتة الوثنيين (وكانوا ما يزالون عديدين) القائلة أن مجد روما لم ينقرض إلاّ لأنها تخلّت عن عاداتها وآلهتها، وكان "مدينة الله" ردا بناءا على طلب أحد أصدقائه على هذا التحدي الوثني، وهكذا شرع القدّيس أوغسطين يكتبه منذ عام 413م حتى 426م فجاء عملا ضخما في قسمين من اثنين وعشرين مقالة، ويحوي على الكثير من آرائه السياسية والاجتماعية ولا سيما فلسفته التاريخية.[2]

[1] – علي زيعور، أوغسطنيوس مرجع سابق، ص 109.

[2] – علي زيعور: نفس المرجع ، ص 109.

– و/ كتب عقائدية صرفة:

أهمّها وأشهرها على الإطلاق كتاب في الثالوث de trinitate، وضعه في مدة 17 سنة.

ثم هناك كتاب العقيدة المسيحية Doctrina christiana، ومراسلات مع القدّيس جيروم، ومع القدّيس بولينوس وغيرهما...[1]

– ز/ آثار أخرى متفرقة:

فمن كتبه المهمة، في النظام de ordine وفي خلود النفس وفي الموسيقى...وبمناسبة العيد المئوي الخامس للقديس أوغسطين" المواعظ" وذلك في أمشاج أوغسطينية Miscellanea.

وكتب محادثات مع النفس أي مناجيات Soliloques.

وقبل أن تتوفاه المنية ألف كتاب الاستدراكات Retracttiones، وفيه وضع تعليقات على كتبه السابقة وبعض التوضيحات والتنقيحات.[2]

[1] – نفس المرجع، ص 110.

[2] – علي زيعور،نفس المرجع،ص 110.

الفصـــــل الأول

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الأول: طبيعة الخير والشرّ

* المبحث الأول: مفهوم الخير

أولا: تعريف الخير لغة واصطلاحا

ثانيا: الخير بين المطلق والنسبي

ثالثا: أفعال الخير وعلاقتها بالإرادة

رابعا: علاقة الخير بالحق والجمال

* المبحث الثاني: مفهوم الشرّ

أولا: تعريف الشر لغة واصطلاحا

ثانيا: مشكلة الشرّ

ثالثا: أنواع الشرّ

* المبحث الثالث: الخير والشرّ – أصلهما و قيمتهما–

أولا: أصل وجود الخير والشر في الكون

ثانيا: إدراك القيمة الأخلاقية للخير والشرّ

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تمهيد:

تعد المسائل الأساسية للفلسفة الخلقية هي البحث عن طبيعة الخير والشرّ، وأصل وجودهما في الكون فالأعمال التي يقوم بها الفرد يحكم عليها إمّا بأنّها أفعال خيّرة أوهي أفعال شرّيرة، حيث نقول إنّ العدل هو خير والظلم هو شرّ، وهذه أحكام متداولة بين النّاس بمختلف أوضاعهم وأحوالهم ومستوياتهم الفكرية، فنحن لا يمكننا الاستغناء في حياتنا اليومية عن الاهتمام بقيمة أفعالنا التي نتعايش معها وهذا يملي علينا أن نحدّد لأنفسنا الأفعال التي يجب علينا أن نبتعد عنها،كما يجب أن نعي الأفعال التي لابد من التمسك بها، والتي يقبلها الدين والمجتمع وتتماشى مع المنظومة الأخلاقية المتعارف عليها.

فما مفهوم الخير والشر؟ وما أصلهما وقيمتهما؟

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول: مفهوم الخير

الخير و الشرّ مشكلة إنسانية قد شغلت حيّزا كبيرا من تفكير الفلاسفة خاصة في جانبها الأخلاقي، كما اهتم بها علماء الدين والكلام فتباينت الآراء حول مشكلة الخير والشرّ و مفهومهما، وهذا وفقا لمنهج ومذهب كل اتجاه.

أولا: تعريف الخير: لغة و اصطلاحا

أ– تعريفه لغة: جاء في لسان العرب لابن منظور أن الخير ضد الشرّ وجمعه خيور وجمعه أخيار وخيار، وهو خلاف الأشرار والخيار جاء من الاختيار وخايره فخاره خيرا أي كان خيرا منه، أمّا الاختيار فهو الاصطفاء وكذلك التّخير[1].

ب – تعريفه اصطلاحا:

الخير هو أحد القيم الثلاث في مبحث الأكسيولوجيا وهو في رأي المثاليين صفة كامنة في طبيعة الأفعال، و من ثمة تكون ثابتة لا تتغير[2] وبينما يعدّه البعض صفة يخلعها العقل عن الأفعال[3] وفقا للمتغيرات والمستجدات وعليه فهو يختلف باختلاف هذه الظروف والأحوال وهذا ما أدى إلى كثرة الدراسات والأبحاث حول ماهية الخير في الفلسفات والديانات، فكان لكل واحد من أصحاب هذه الاتجاهات موقف ورأي خاص به.

---

[1] – ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، لبنان، بيروت، ط4 ، ج5، 2005، ،ص18.

[2] – إبراهيم مدكور: المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، لبنان، بيروت، ج1، 1998 ، ص81.

[3] – نفس المرجع، ج1، ص81.

جاء في المعجم الفلسفي"لإبراهيم مدكور": " إنّ الخير ضد الشرّ ويراد به عامة كل ما يبعث على الرضا والاستحسان لكماله في نوعه أو ملاءمته"[1]

أي أنّ كل فعل حسن يقصد به الرّضا ويحكم عليه بأنه فعل أخلاقي يتلاءم مع المبادئ والتعاليم الدينية، وذلك لأنه مستحسن في حدّ ذاته فهو إذا خير .

إضافة إلى أنّنا نجد من يرى بأنّ كلمة خير مشتقة من الاختيار حيث، يقال خابره فخاره أي استقاه واصطفاه[2].

أمّا "جميل صليبا " فهو يعرّف الخير على أنه إسم تفضيل كقولنا: "أنّ الحياة خير من الموت" وهو يدل على الحسن لذاته وعلى ما فيه من نفع أو لذّة أو سعادة وهو بالجملة ضد الشرّ[3]، لأنّ الخير هو وجدان كل شيء أمّا الشرّ فهو ما به فقدان ذلك، والخير ينقسم إلى قسمين وهما الخير المطلق والخير النسبي ، فالخير المطلق هو الذي يكون لكافة النّاس ومرغوبا لهم، وهو يمثل الوجود المطلق الذي ليس لذاته حد ولكماله نهاية لأنّه خير لذاته وبذاته، أمّا الخير النسبي فهو أن يكون خيرا لفرد واحد وشرّ لفرد آخر ومن هنا فالخير نوعان خير بالذات وخير بالعرض[4]، ويرى "جميل صليبا "، أن البعض من الفلاسفة يطلقون الخير المحض على الوجود في حين يعتبرون العدم هو الشرّ المحض، فالفلاسفة العقليون يجعلون من الوجود مبدأ للخير، أمّا فلاسفة القيم فيجعلون الخير مبدأ الوجود.

---

[1] – إبراهيم مدكور: نفس المرجع، ص52.

[2] – مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط ، مكتبة الشروق الدولي، مصر، القاهرة، ط4، 2004،ص264.

[3] – جميل صليبا: المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، لبنان، بيروت، ج1، 1982، ص548.

[4] – نفس المرجع. ص548.

يعتبر مفهوم الخير الأساس الذي تبنى عليه مفاهيم الأخلاق كلّها لأنه المقياس الذي نحكم به على قيمة أفعالنا ولقد فرق الفلاسفة بين الخير والواجب – هذا ما نجده عند كانط– حيث اعتبر أنّ مفهوم الواجب يتضمن معنى الكمال، فالفعل ليس خيرا من حيث أنّه صادر عن إرادة الفاعل الطيبة بل هو بذاته لا بنيّة الفاعل.

إنّ الخير هو ما يختاره الإنسان أو يؤثر على غيره من الأعمال والشيم وبما أن الخير يتضمن معنى الاختيار فإنّ هذا الاختيار يتم من قبل الإنسان أو من قبل الله، وهكذا نعدّ من الخير كل ما اختاره الله ونُدب إليه من الأفعال والصفات.[1]

إنّ البحث عن دلالة كلمة الخير في نطاقها الفلسفي أدى إلى اختلاف الأحكام والتساؤلات حول ما الذي تدل عليه كلمة الخير؟ ما الأشياء الخيرة و كيف نعرف أنها كذلك، من الطبيعي أن نعتقد أن كلمة "خير " تستعمل عادة على أنّها صفة لأنها تعني نوعية مميزة يجتازها كل شيء خير (جيد)، كما أن هناك من يجد أن كلمة خير تستخدم في التعبير عن استحسان أو استهجان لفعل ما.

أمّا "القاضي عبد الجبار" فهو يعرّف الخير على أنه قيمة تطلق في اللّغة للحكم على فعل ما، بناء على غايته ونتيجته بالنسبة لفاعله[2] ، فقد ورد الخير في القران الكريم معبرا عن عاقبة الفعل و نتيجته في قوله تعالى: " تجدوه عند الله هو خير"[3]، أي تجدوه خيرا لكم من متاع الدنيا فهو مرادف للفاضل في كل شيء ومن ثّم يطلق على الحسن لذاته وعلى الكرم والشرف وعلى كل فعل يلقى استحسانا منا.

من خلال التعاريف السابقة نستنتج أنّ الخير في أصله يحمل معنى الاختيار وهذا يدل على أنّ قيمة الخير تطلق على كل فعل اختاره فاعله من بين الأفعال القادر عليها.

---

[1] – علي بوملحم: المناجي الفلسفية عند الجاحظ، دار مكتبة الهلال، ط1، لبنان، بيروت ،1994، ص401.

[2] – محمد صالح محمد السيد: الخير والشر عند القاضي عبد الجبار، دار قباء للنشر والتوزيع، لبنان، بيروت، 1998،ص30.

[3] – سورة المزمل الأية: 20.

ويتم العمل بها لتحقيق ما ينفعه، فيقوم باختياره لهذا الفعل على أساس من الغاية التي يحققها[1]،أي بكامل إرادته وقدرته العقلية .

يصنف الخير إلى الخيرات اللذّية وهي تتمثل في الخير الذي تنتج عنه متعة ما، أو الخير المرتبط بالمنفعة التي يرجوها الفرد من أفعاله،كما يمكننا تصنيفه إلى خيرات جوهرية بذاتها و في ذاتها وهي خيرات دائمة لا تنتهي بمجرد تحقيق غاية أو منفعة، وخيرات عارضة بوصفها وسيلة لتحقيق غاية وبمجرد الوصول إلى هذه الغاية تزول أو تفقد قيمتها كأفعال خيّرة.

كما نجد الخير الأخلاقي والخير الطبيعي، فالخير الطبيعي يستخدم ليشمل كل شيء يكون علة للذّة خاصة أو وسيلة لها، أمّا الخير الأخلاقي فهو فكرتنا عن خاصية يعيها في أفعالنا تنال استحسانًا، أو تلازم رغبة الفاعل في الوصول إلى السّعادة.

ثانيا:الخير بين المطلق والنسبي:

1-الخير المطلق:

الخير الأسمى أوالخير الأعظم: هو قمة الخيرات والغاية العليا للأخلاق ولقد اختلف اللأخلاقيون في تحديد مردّه ، فهناك من يرى أنه يرجع إلى اللذّة والمنفعة " كالأبيقوريين" و"ستيوارت ميل"، في حين أن الرواقيين يرون أن الخير مردّه إلى ما فوق الطبيعة، وكل من "أرسطو" و"ليبنتز" يرجعانه إلى ما يمليه العقل على الفرد، أمّا "كانط" فقد فضّل أن يفصل بين الخير المطلق والواجب المطلق لما بينهما من تمايز في جوهرهما وفي طبيعة كل فعل يتعلق بهما.

[1] – محمد صالح محمد السيد: نفس المرجع، ص30.

من أهم ما يطلق على الخير الأسمى من مصطلحات هو "الخير المحض" ، "الخير المطلق"، "الخير الأول" وهو نسبة إلى الله وهو غاية الغايات[1] التي يسعى الإنسان لتحقيقها لنيل رضى اللّه ومغفرته.

الخير الأسمى قد يكون شيء واحدا مثل التأمل في وجه الله أو مجموعة من الأشياء كما هو منظور أرسطو للحياة السامية وغالبا ما تكون فكرة الخير الأسمى غامضة فقد يشير إلى خير آخر يعدّ أفضل من أي خير آخر، أو هو أفضل من كل الخيرات مجتمعة[2]، وعليه فالخير الأعظم غاية الحياة الإنسانية ويشتمل كل الخيرات بمختلف أنواعها وتصنيفها، وهو ذلك الخير المرغوب لكل إنسان وقد يكون خيرا لواحد و شرير للآخر ولذلك فالخير قسمان: خير بالذات وخير بالعرض فالخيرات منها ما هي شريفة ونافعة ومنها ما هي محدودة ومنها ما هي بالقوة.

كذلك كما "يقول ابن سينا": "الخيرات منها ما هي غاية ومنها ما ليست بغايات والغايات منها ما هي تامة ومنها ما هي غير تامة."[3] كما رأينا أن هناك من جعل الوجود مبدأ الخير، في حين هناك من قال بالعكس فالخير المطلق في غالب الأوقات يمثل الوجود الذي ليس لذاته حد ولكماله نهاية، لأنّه خير لذاته وبذاته وهو أعلى المثل وغاية كل فعل يرجوه الإنسان في الدنيا، فالمثاليّين قد نظروا إلى الخير على أنه يخضع لقوانين عامة ومبادئ مطلقة لا يحدّها زمان ولا مكان، وذلك في قولهم إنّ المقياس الذي تقاس به الخيرية ويميز به بين الأفعال خيرها وشرّها وهي ثابتة لا تتغير بتغير الظروف والأحوال أي أنّه مطلق من قيود الزمان والمكان[4].

---

[1] – ابراهيم مدكور: المرجع السابق، ص81 / 82.

[2] – تدهوندرش: دليل أكسفورد، ترجمة نجيب حصاد، المكتب الوطني للبحث والتصوير، ليبيا،طرابلس ،ج1 ، دت، ص337/ 338.

[3] – معجم جميل صليبا: المرجع السابق، ص 595.

[4] – عبد العزيز محمد: القيم الفلسفية الكبرى"الحق، الخير، الجمال"، مؤسسة الثقافة الجامعية، لبنان، بيروت، ص64.

2-الخير النسبي:

السوفسطائيون من بين الأوائل الذين قالوا بنسبية الخير قديما، استنادا إلى أنّ الإنسان عندهم هو مقياس كل شيء، كما نجد أتباع مذهب المنفعة الفردية والعامة حديثا قالوا بنسبية الخير، ويعتبر هؤلاء خير من يمثل هذا الاتجاه النسبي في مفهوم الخير[1]،إضافة إلى "توماس هوبز" رائد مذهب المنفعة الفردية الذي يؤكد على نسبية الخير لأنّ جميع الدوافع الإنسانية تهدف إلى الأنانية فيقول: " إنّ فعل الخير مرجعه إلى الشعور بلذّة الزّهو التي تنشأ عن إعجاب الناس بفاعل الخير، والإخلاص في أداء الواجب مردّه إلى ما نتوقعه من وراء ذلك من مغانم، والإعجاب بالجمال إعجابا يبدو مجردا عن الهوى، ليس في حقيقة أمره إلا مجرد لذّة متوقعة، وليست الخيريّة إلا أنانية مقنعة، وإذا فات الناس التماس اللّذة الحاضرة رغبوا في كسب القوة كأداة لنيل لذّة مقبلة، فيشعرون ببهجة مردّها إلى مزاولة القوة التي تغريهم بما نسميه فعلا خيرا".[2]

إنّ نظرية السلطة المطلقة عند " هوبز " هي الأخرى تؤكد على نسبية الخير والشر بإرجاعهما إلى مبدأ الأثرة (الأنانية) أمّا أصحاب المنفعة العامة فقد أرادوا حصر الفعل في منفعة الفرد أو صالحه فحسب، و إنّما تحولت إلى ضرورة العمل لصالح المجتمع عامة.

نستنتج أن النفعيون يلتقون في القول بأنّ المنفعة أو اللّذة أو السعادة هي وحدها الخير الأقصى، والضّرر والألم هو وحده الشرّ الأقصى وتنشأ عن هذه الأفعال الإنسانية أن لا يكون خيرا إلا متى حقّقت غايتها أو توقع صاحبها من ورائها نفعا.

---

[1] - نفس المرجع، ص60.

[2] - نفس المرجع، ص61.

فإن أدت إلى ضرر أو أعاقت نفعا كانت شرّا، وبهذا توقفت القيم الأخلاقية على نتائج الأفعال وآثارها وأصبحت المنفعة مقياس الخيرية ومعيارا للتّقييم، وعليه فالخير نسبي غير مطلق ويختلف من فرد إلى آخر ومن مجتمع إلى مجتمع، وتحكمه غاية أفعالنا ونتائجها، فليس ما هو خير لي هو بالضرورة خير لغيري، وأفعالنا التي نرى بأنها تحقق منفعة وخيرا قد يجدها الآخرون ضررا وشرّا .

ثالثاً: الأفعال الخيّرة وعلاقتها بالإرادة :

إنّ الحديث عن الخير يقودنا إلى الحديث عن طبيعة الأفعال التي يقوم بها الإنسان وكيف يمكننا الحكم عليها بأنّها أفعال خيّرة أم لا ؟ وهل الخير نابع عن إرادة إلهية أو إنسانية؟ وهل المقياس الذي نقيس به لا يقوم على طبيعة الأفعال بل على إرادة الله ؟ أي أن العقل لا يُعد خيرا سوى لأن الله تعالى أراده[1].

يعدّ القول بالعدل من الأسباب التي أدّت إلى القول بخيرية الأفعال الإلهية وذلك للارتباط الوثيق بينهما، لأنّ العدل صفة من صفات الله تعالى وهي تنفي عنه الظلم والتعسف، كما أنّه تنزيه عن ارتكاب الأفعال التي توصف بالقبح أو الشرّ، فكل أفعال الله خيّرة، أما الفعل القبيح فليس منه بل هو من الإنسان، فأفعاله تعالى كلها خيّرة ومن هنا فهو منزّه عن فعل الظلم الذي هو نقيض العدل فالله لا يفعل إلّا الحسن[2]، وهو حكيم وعليه فالشرور الموجودة في العالم تفسر في ضوء حكمته الإلهية إضافة إلى أنّ عناية الله سبحانه وتعالى بالإنسان ثم تكليفه واللطف به ثم يعويضه عن آلامه وشقائه، فالله تعالى لا يفعل الظلم ولا الشر، لأن أفعاله حسنة، وهذا ما ذهبت إليه المعتزلة بأن مقياس الأفعال الخيرة مرده إلى الله، و الخير عند هؤلاء خير لأنّ الله أمر به.

[1] – عبد العزيز محمد :نفس المرجع، ص65.

[2] – محمد صالح محمد السيد: نفس المرجع، ص106/ 107.

ومن الخطأ أن يقال إنّ الله أمر به لأنّ طبيعته خيّرة وليس كل فعل خير حسن وليس كل فعل شرّ قبيح لأن الفعل يوصف بأنه شرّ لكونه ضررا[1].

إنّ" القاضي عبد الجبار" يقرّ أنّ أفعال الله تعالى كلها خيّرة لأنّها تصدر وفق حكمته ومن ثمة يلزمنا أن نتعرض لبيان حكمته تعالى فالحكمة الإلهية تقتضي أن تكون أفعاله تعالى هادفة لتحقيق أغراض وغايات، فالفعل الخالي من الغرض فعل يوصف بالعينية وحكمته تعالى تقتضي بأن خلقه للعالم إنّما يكون لغاية هي نفع الإنسان[2]، فهناك من الأفعال مالا صفة لها، زائد عن الوجود كفعل الأكل والشرب مثلا وفعل الساهي والنائم، أمّا الأفعال الأخرى فهي محل حكم أخلاقي كالمدح والذم والإباحة والتحليل والتحريم، فالمعتزلة مثلا جعلت مقياس الخير قائما في طبيعة الأفعال ذاتها، لأنّ الإنسان حرّ وله كامل الإرادة في اختيار أفعاله فإذا كانت خيرا فهي من اللّه أمّا إذا كانت شرّا فهي منه. كما نجد من يحكم على الفعل بأنّه خير لأنّ الله أمر به وبأنه شرّ لأنّه نهى عنه، أي أنّه لا دخل للإرادة الإنسانية في تحديد خيرية الفعل أو شريته فالشّرع هو الذي يحدد ذلك والإنسان ليس له أي دخل في تحديد أفعاله واختيارها لأنّه مسيّر وليس مخيّر، أمّا "كانط" فهو يرى أنّ مقياس الخير هو التجربة الأخلاقية، لأنّ التجربة الإنسانية تستلزم من القواعد ما تستلزمه التجربة الطبيعية، وبناءا عليه لا يمكن أن تكون التجربة الأخلاقية كذلك إلاّ إذا كانت قائمة أصلا وبالذّات على الإرادة الخيّرة، وأنّ الفعل الأخلاقي لا يمكن أن يكون فعلا أخلاقيا إلاّ إذا كان صادرا عن هذه الإرادة[3]، فالإرادة الخيّرة حسب "كانط " شرط ليكون الفعل الأخلاقي أخلاقيا، ولا يمكن أن يكون دالاّ على هذه الإرادة الخيّرة إلا إذا كان فعلا عاما مطلقا، وهنا ارتبط الفعل الخيّر عند "كانط" بالواجب.

---

[1] – عبد العزيز محمد : نفس المرجع، ص 66-67.

[2] – محمد صالح محمد السيد: نفس المرجع، ص107.

[3] – نفس المرجع: ص 62.

يقول "كانط": " أنّ ما يجعل الإرادة على هذا النحو ليس أعمالنا ولا ما تحققه من نجاح ولا قدرتها على أن تصل إلى الهدف المقصود أو ذلك، وإنّما في فعل الإرادة ذاته أعني أنها خيرة في ذاتها وإنها معتبرة من حيث هي يجب أن تقدّر – دون مقارنة بغيرها–

تقديرا أعلى وأسمى من كل ما يمكن تحقيقه من أجل ميل معين بل وإذا شئنا من أجل مجموعة من الميول كلها..."[1]

رابعاً: علاقة الخير بالحق والجمال:

بعد التعرف على طبيعة الخير وجب علينا أن نوضّح علاقته ببعض أهم القيم الأخلاقية، وهي الحق والجمال، فمن الواضح أن هناك علاقة وطيدة بين القيم الأخلاقية ولهذا لا يمكننا الفصل بين علاقة الحق والخير والجمال، ولا يمكن جعل قيمة كل واحدة منها منعزلة عن قيمة الأخرى، وهذا ما أكّده الكثير من المفكرين والفلاسفة في عدم إمكانية الفصل بين الخير والحق، والخير والجمال.

1- علاقة الخير بالحق :

العلاقة بين الخير والحق وطيدة ولا يمكن الفصل بينهما، فالحق يؤدي إلى الخير وما هو حق لابد أن يكون خيرا[2]، فكلاهما يستند إلى الآخر، أي أن الحق يكمل فكرة الخير، والخير يكمل فكرة الحق، فالباطل لا يكون خيرا لأنه يتناقض مع الحق، والسلوك الفاضل لابد أن يؤسَّس على ذلك.

وعليه فإنّ القواعد الصّحيحة الصادقة في التفكير السليم – الحق– هو الذي يؤدي إلى السلوك الفاضل والخصال الحميدة – الخير– أمّا سوء التفكير وعدم الالتزام بالحق –المنطق– فانّه يقود إلى الشرّ والرذيلة فالحق خير والخير حق.

---

[1] – محمد صالح محمد السيد: نفس المرجع، ص70.

[2] – عبد العزيز محمد :نفس المرجع، ص 13.

2 -علاقة الخير بالجمال :

تعد العلاقة بين القيم الأخلاقية والجمال علاقة متداخلة، كما لا يمكن الفصل بينهما، فنجد من يرى أن الفن والأخلاق يمثلان نفس الشيء لأن الجمال والأخلاق شيء واحد وكلاهما يؤدي إلى فكرة الخير، وهذا يعد رأي بعض الفلاسفة والمفكرين. في حين نجد من يرى نقيض ذلك أي أنّ علاقة الخير بالجمال هي علاقة تناقض لا اجتماع والتقاء بينهما بحال من الأحوال[1]، ونجد من وفّق بين الرأيين بالقول بأنّ الخير والجمال متباينان ولكن يمكن التوفيق بينهما.

إنَّ كل هذه الآراء تؤكّد على وجود علاقة بين الخير والجمال فالفلسفة اليونانية ربطت مثلا بين الأخلاق والجمال، فوضعوا الجمال إلى جانب الخير وجعلوا الخير هو الأساس فإذا كان الخير يتبع الجمال الذي يمثل وجودا حقيقيا فإنّ القبح يناقض الوجود من حيث المبدأ، وهذه الأفكار ليست خاصة بالفلسفة اليونانية فقط، بل امتدت إلى العصور الوسطى وانتشرت في العصر الحديث، فنجد أنّ هناك من حاول أن يؤكد على وجود علاقة بين الخير والجمال، وذلك بإخضاع الأعمال الفنية والجمالية إلى معايير أخلاقية ويعد "توليسي" من بين الدعاة لذلك بقوله:"وهكذا يجب أن توضع الأحكام الجمالية والخلقية معا في معيار واحد مميزين بينهما وبين الأحكام العقلية، فالأحكام الجمالية والخلقية أحكام قيّمة في حين أنّ الأحكام العقلية أحكام واقعية."[2]

[1] - نفس المرجع السابق، ص 14.

[2] - نفس المرجع، ص14.

المبحث الثاني: مفهوم الشرّ

إذا كان عالَمنا هو أفضل عالَم ممكن أن نعيش فيه، فهذا يعني أن الله خلقه على أكمل صورة ممكنة حيث أن الظلم لا يصدر عنه، ولكن كمال العالَم لا يعني خلوّه من الشرّ وهو ما نلتمسه فعليا في عدّة جوانب في هذا العالم.

إنّ وجود الشرّ في هذا العالم لا يتعارض مع كمال العالَم كما لا يتعارض مع العناية الإلهية، ولكن تبقى مشكلة الشرّ من بين المشكلات الفلسفية التي شغلت تفكير معظم الفلاسفة محاولين ضبطها من خلال التوفيق بين العناية الإلهية و وجود الشرّ في الكون فضبطوا أولا مفهوم الشر من النّاحية اللغوية والاصطلاحية، وبحثوا في أصل الشرّ ووجوده في الكون، فأخذنا بعض أهم التعاريف لمصطلح "الشر" وأهم الآراء التي تناولت مشكلة الشرّ.

أولًا– تعريف الشرّ: لغة واصطلاحا:

أ – تعريفه لغة:

الشرّ من شرر أي السّوء، والفعل لرجل شرّير، أما المصدر فهو الشرارة ويقال: "قوم أشرار ضد أخيار" فالشرّ ضد الخير وجمعه شرور، فعن كراع في حديث الدعاء "الخير كله بيدك والشر ليس إليك أي أن الشر لا يصعد إليك، وإنما يصعد إليك الطيب من القول والعمل"[1].

[1]- ابن منظور: مرجع سابق، ج8، ص53.

ويقول "الجاحظ": "أما الشرّ فهو سوء الأخلاق وفقدان الحياء بحيث يغدو المرء غير مبال بموقف الناس منه واشمئزازهم من أعماله التي تسيء إليهم وكأنّه فقد كل ضمير يردعه أويؤنّبه، أضف إلى ذلك قساوة القلب وخلوّه من محبة الآخرين"[1] فالشرّ كل ما كان موضوعا للاستهجان أو الندم فترفضه الإرادة الحرّة وتحاول التخلص منه[2] .

ب- تعريفه اصطلاحا:

إنّ "القاضي عبد الجبار" يؤكد على أن قيمة الشرّ نقيضة لقيمة الخير، فالشرّ هو السوء والفساد، ويحمل الشرّ في أصله اللغوي معنى "الانتشار" و "التطاير" لانتشاره وكثرته فهو يشبه الشرّ بالشرر المتطاير من النار، فقد أجمع أهل اللغة على أن مصدر الشرّ هو الشرارة، ومنه فالأصل اللغوي لكلمة "الشرّ" هو اعتبار غاية الفعل ونتيجته فلما كان الإنسان ليس في مقدوره إلى إتيان الغايات القريبة، أمّا الغايات البعيدة فلا يعلمها إلاّ الله تعالى وفي هذا قال: "القاضي عبد الجبار" "الخير عندنا هو النّفع والحسن، والشرّ هو الضرر والقبح."[3]

ثانيًا: مشكلة الشرّ

تعد مشكلة الشرّ مشكلة أخلاقية بالدرجة الأولى وذلك لبعدها الميتافيزيقي الذي هو من أهم الأبعاد التي اهتم بها علماء الكلام واللاهوتيين خاصة، لأنّ الخوض في تفسير مشكلة الشرّ يرتبط ارتباطا وثيقا بالله تعالى وصفاته كالقدرة والعدل...الخ فالناظر والمتمعن في هذا العالم لا يراه كلّه خيرا بل يراه يعجّ بسائر ضروب الشر، حيث أنّ الشرّ أصبح منتشرا في العالم حتى أصبحت الحياة عبارة عن مأساة للبشر، فالشرّ يحيط بالإنسان من كل الجوانب كالأمراض والمحن والكوارث.

---

[1] تدهوندرش:دليل أكسفورد، مرجع سابق، ص 102.

[2] ابن منظور، ص54.

[3] محمد صالح محمد السيد، نفس المرجع، ص31.

إنّ محاولة تفسير الشرّ في العالم تستوجب علينا الإجابة عن عدّة تساؤلات منها كيف نوفّق بين خيريّة الله وحكمته المطلقة وبين وقوع الشرّ في العالم[1]؟ هل وقع الشرّ في العالم بإرادته تعالى؟ وإذا لم يكن بإرادته فكيف سمح بوقوعه في ملكه، ومن خلق الكفر و المعصية والشرّ في هذا الكون، هل الإنسان هو الفاعل لذلك ؟ فإذا كان هو المسؤول عليه فالله تعالى هو أيضا مسؤولا عما اقترفه عبده في ملكه لأنّه هو خالق الإرادة الحرّة للإنسان، حيث أصبحت حياة الإنسان كفاح دائم ضد الشرّ، وسَعيٌ مستمر نحو الخير وصارت الحياة الأخلاقية لا تقوم إلا في مواجهة الشرّ، فارتبطت مشكلة الشرّ بمشكلة الحرية والاختيار، فسعى رجال الدين وعلماء الكلام إلى تقديم تفسير وقوع الشرور الميتافيزيقية والطبيعية في هذا العالم لارتباط مشكلة الشرّ منذ الأزل بالله، وهل الإنسان مقيّد أو حرّ في فعل الشرّ ؟ وهذا أدّى إلى القول بالمسؤولية والجزاء، فإذا كان الشر نابعا عن إرادة الإنسان فهو مسؤول عن فعله، حيث أن المعاناة الناتجة عن خيارات بشرية خاطئة أخلاقيا، وهناك من يرى أن الفرد لا يقوم باختيار الشرور بوصفها كذلك، بل يسعى لتحقيق مصالحه وذلك بكفاحه من أجل قضية ما، يجد فيها نفسه على حساب مصالح غيره، وما الشرور إلّا نتيجة مصاحبة لنيل المساعي، أمّا عند مفكري القرن العشرين فأصبح الشرّ هو نتيجة لاختياراتنا وحريتنا التّامة، أي أن الأفراد يختارون الشرور لأجل ذاتها، كما نجد نظرة لاهوتية أرثوذوكسية تقرّ أنّ الشرّ موجود في كل الكائنات البشرية الطبيعية، وأنّه لا مناص من أن يختاروا الشرّ ما لم تكن هناك حوافز قوية تمنعهم من ذلك كقانون الدولة والدين وهذا بفرض عقوبات تردعهم عن فعل الشرّ، كنتيجة لأفعالهم التي لا تتماشى مع المجتمع وسياسة الدولة.

[1] نفس المرجع، ص31.

إنّ مشكلة الشرّ استلزمت عنها مشكلة أخرى وهي تتعلق بكيفية اتّساق الشرّ مع وجود إله رحيم كلّي القدرة والكمال، حيث شكّلت مشكلة الشرّ وقوع اعتراض ضد المؤلهة -الآلهة- التقليدية مفادها أنّ الكائن الكامل سوف يختار دوما منع الشرّ بل إنّ السماح ببعض الشرور سوف يمكّن من خيرات أعظم، فإذا سمح الله بوقوع الشرّ فلا أنّه من المستحيل منطقيا جلب خيرات أعظم بسبل أخرى .

ثالثا:أنواع الشرّ: إذا كان الشرّ كل فعل هو موضوع استهجان أو ندم ترفضه الإرادة الحرّة وتحاول الابتعاد عنه واللجوء إلى الأفعال الخيّرة، وهذا يدفعنا إلى التّساؤل حول ما إذا كان للشرّ صورة واحد أو له عدة صور، حيث اتفق معظم المفكرين على اختلاف مذاهبهم واتجاهاتهم بأنّ الشرّ ثلاثة أنواع يجب معرفتها والاطلاع عليها وهي كما يقول "ابن سينا": " إعلم أنّ الشرّ على وجوه فيقال شرّ لمثل النقص الذي هو الجهل والضعف والتشويه في الخلقة، ويقال شرّ لما هو مثل، إلّا ألم وغم"[1] .أي أن هناك شرّ طبيعي وشرّ خلقي. وقوله:" فالشر بالذات هو العدم ولا كل العدم، بل عدم مقتضى طباع الشيء من الكمالات الثابتة لنوعه وطبيعته."[2] من خلال قول ابن سينا ورأي الفلاسفة نستخلص هاذه الأنواع (أو المعاني) وهي :

1-الشر الميتافيزيقي (الفلسفي): ويتمثل هذا الشرّ في النقص الذي يلاحظه المرء في كل المخلوقات وهو أمر لا مفرّ منه فالنقص من لوازم الموجود، المخلوق، المتناهي، أي أنّ الإنسان (المخلوق) شيء محدود وغير كامل بطبيعته[3]، فالشرّ الميتافيزيقي هو نقصان كل شيء عن كماله، وهو قد يكون إمّا بالذّات أو بالعرض، وبذلك أصبح الشرّ الميتافيزيقي علّة للنوعين التاليين من الشرور .

---

[1] - جميل صليبا: نفس المرجع، ص695.

[2] - محمود حمدي صبحي زقزوق: دراسات في الفلسفة الحديثة، دار الفكر العربي، مصر، القاهرة، ط1، 1993، ص143.

[3] - المرجع نفسه، ص 143.

2-الشر الطبيعي: ويقصد به كل ألم يصيب الإنسان ويُعدّ شكل من أشكال الشرور الموجودة في العالم، ومعظم النّاس يعانون منه حيث أنّه يطلق على كل نقص مثل الضعف والتشويه في الخلقة والمرض فأحيانا يكون عقوبة لذنب من الذنوب، و أحيانا يكون وسيلة مناسبة لبلوغ هدف معين أو لمنع شرّ أعظم أو للحصول على خير أعظم.

3-الشر الخلقي: يطلق على الأفعال المذمومة وعلى مبادئها، وتتمثل في الذنوب والمعاصي، ويرجع إلى حرية الإنسان والتي هي في حد ذاتها خير، والشرّ يأتي لمن أساء استخدام هذه الحرية،[1] فالشر الخلقي نتيجة لكل فعل مبني على الإرادة والحرية وهو يقع لأنّ الإنسان أراده.

[1] – منصور علي رجب: تأملات في فلسفة الأخلاق ، مطبعة مخيمر، مصر، القاهرة، ط1، 1953، ص94.

المبحث الثالث: الخير والشرّ (أصلهما و قيمتهما)

أصل وجود الخير والشرّ في الوجود من بين نقاط الاختلاف بين الباحثين والمفكرين حيث نجد ثلاثة أراء أساسية في أصل وجودهما، كما أنّ إدراكنا لأفعالنا والحكم عليها بأنّها خير أو شرّ أو بالحسن أو القبح هما الإحساس في معرفة ماهية الخير أو الشر وإدراكها، وهذا الإدراك يكون بالعقل لأنّه هو وحده القادر على إدراك الأفعال الخيّرة أو الأفعال التي تمتاز بالشرّ.

أولًا- أصل وجود الخير والشرّ في الكون

الرأي الأول يرى أنّ وجود الخير أسبق من وجود الشرّ، لأنّ الطينة الأولى للإنسان كانت خيرا فحسب، ثم كان الشرّ طارئا عليه[1].

أمّا الموقف الثاني فيرى أن الشرّ هو الأسبق والخير طارئ عليه (فكرة الخطيئة) والرأي الثالث يرى أنّ الإنسان خُلق وفيه استعداد لكل من الخير والشرّ، والمجتمع والتربية هما اللّذان يساهمان في صنع أفعال الفرد سواء كانت خيرا أو شرّا، فالطفل يولد صفحة بيضاء والمجتمع والبيئة التي يعيش فيها هي التي تحدد طبيعته، وهناك من يقول أنّ الإنسان شرير بطبعه مثل الكنيسة التي ترى أنّ الإنسان منذ خطيئة آدم قد انقلب شرّيرا[2].

أمّا "ابن خلدون" فيجد أنّ الإنسان في طبيعته الأولى خَيّر، فأهل البَدْوِ أقرب إلى الخير من أهل الحضر لأنّ طبيعة أنفسهم كانت على الفطرة الأولى متهيئة لقبول ما ينطبع فيها من خير أو شرّ[3].

---

[1] – منصور علي رجب: نفس المرجع، ص144.

[2] – أحمد أمين: الأخلاق، مطبعة دار الكتاب المصرية، مصر، القاهرة،ط1، 1921، ص12.

[3] – منصور علي رجب: نفس المرجع، ص98.

وهذا ما يؤكده قوله صلى الله عليه وسلم :" كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهوّدانه أو ينصرانه أو يمجّسانه." وهنا يظهر دور التربية في تكوين الخير والشرّ في الفرد.

ثانياً– إدراك القيمة الأخلاقية للخير والشرّ

اتفق العقلاء على أصول إدراك الخير والشرّ– حتى الذين لا يؤمنون بالشرائع والأنبياء–، فهم لا يختلفون في كيفية إدراكها، لأنّ العقل واحد عند جميع الناس وهو أعدل قسمة بينهم. إنّ أصول الخير والشرّ مُدركة بالبداهة العقلية حيث لا يختلف إثنان عاقلان في أنّ الظلم فعلٌ شرير وكل فعل على صورته فهو كذلك، كما أنّ الأفعال الخيرية لا يمكن إدراكها خارج العقل، فمستوى الخيرية مبدأ ثابت لا يتغير وهو أنّه لا يقوم خارج العقل البشري ولا مستقلا عنه[1]، فليس في الإنسان قوة طبيعية يحكم بها على أفعاله وإنّما نحكم عليها بالعقل والإستدلال فالإنسان في حالته الغريزية لا يمكنه إدراك الخير والشرّ ولكنه يحكم على قيمة أفعاله من خلال تجاربه.

تتمثل القيمة الأخلاقية للخير والشرّ في الفعل الأخلاقي الذي يقوم به الفرد، وقد اختلف الباحثون منذ القدم حول قيمة هذه الثنائية (الخير والشرّ)، فهناك من يجد أنّ الخير هو السّعادة والسّعادة لذّة، سواء كانت لذّة حسية أو معنوية، ومنهم من اعتبر الخير فضيلة، فأراد أن يكون شبيها بالآلهة أو العظماء، وسائر ضروب السلوك تندرج بين قطبي الخير والشرّ. إنّ الفعل الأخلاقي فعل قيمي غير آلي ولا غريزي ولا اعتيادي ولا شعوري، بل هو عمل اختياري شعوري واعي والقيمة المختارة غاية الفعل .

ومهما يكن من أمر فإنّ أسبقية وجود أحد الطبعيين الخير أو الشرّ في نفس الإنسان لا يعني مطلقا عدم قابليته للتبدّل إلى الأحسن أو الأسوء بتأثير الوسط والمثُل التي يقتدي بها[2].

[1] – مصطفى عبده: فلسفة الأخلاق، مكتبة مدبولي، مصر القاهرة، ط2، 1999، ص30.

[2] – نفس المرجع: ص30.

الفصـــل الثـــــاني

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الثاني: الخير و الشرّ قبل عصر القدّيس أوغسطين.

* المبحث الأول: ظهور الخير والشرّ في الفكر الأخلاقي اليوناني.

أولاً: الخير والشرّ في فلسفة سقراط الأثيني

ثانياً: الخير والشرّ في فلسفة أفلاطون

ثالثاً: الخير والشرّ في فلسفة أرسطو

رابعاً: الخير والشرّ في الفلسفة الأبيقورية والرواقية

* المبحث الثاني: ظهور الخير والشرّ في الفكر الأخلاقي الهيلينستي والروماني

أولاً: الخير والشرّ في الفلسفة الأفلاطونية الحديثة

ثانياً: الخير والشرّ في فلسفة فيلون الإسكندري

ثالثاً: الخير والشرّ في المانوية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الثاني: الخير و الشرّ قبل عصر القدّيس أوغسطين.

تمهيد :

إنّ دراستنا لمسألة الخير والشرّ جعلتنا نبحث في هذا الفصل تاريخ ظهورهما وتطورهما بداية من الفكر الأخلاقي اليوناني لكونه الركيزة الأساسية للفلسفة عامة وللفلسفة الأخلاقية خاصة، متخذين أهم النماذج من الفلاسفة والمذاهب الفلسفية في هذا العصر، و هم "سقراط" و"أفلاطون" و"أرسطو"، إضافة إلى كل من الأبيقورية والرواقية. وتعدّ فلسفتهم الأخلاقية وفكرتهم حول ثنائية الخير والشرّ بداية للفلسفات اللاحقة في كل من الفكر الهلينستي والروماني، فاخترنا بعض الفلاسفة كنماذج لتطور مفهوم الخير والشرّ في هذين العصرين.

وعليه كيف ظهرت فكرة الخير والشرّ ؟ وما مفهومها في الفكر الأخلاقي قبل عصر القدّيس أوغسطين؟

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الثاني: الخير و الشرّ قبل عصر القدّيس أوغسطين.

المبحث الأول: ظهور الخير و الشرّ في الفكر الأخلاقي اليوناني.

تعدّ ثنائية الخير والشرّ في الفكر اليوناني من أهم الأفكار الفلسفية التي تناولها فلاسفة هذا العصر، خاصة أنها ارتبطت بالآلهة والجانب الإيماني لسكان أثينا، ويعد كل من "سقراط" و"أفلاطون" و"أرسطو" من أهم المفكرين والفلاسفة الذين امتاز بهم هذا العصر، وسنتناول فكرة الخير والشرّ عند كل واحد منهم على التوالي .

أولاً:الخير و الشرّ في فلسفة سقراط الأثيني(480-399 ق م).

وسط انهيار مُثلُ الحقيقة والأخلاقيات من جرّاء الفلسفة السفسطائية، ظهرت في أثينا شخصية "سقراط" الذي أعاد النّظام من وسط الفوضى وأدرج السَّوية في الحياة الثقافية المفككة في ذلك العصر، و لقد امتازت فلسفته بأنّها أخلاقية في جوهرها وهي متأسسة على نظرية المعرفة[1]، وهو يرى أنّ الإنسان لا يستطيع أن يتصرف على نحو خاطئ، وأنّ كل فعل خاطئ يصدر عن جهالة منه، وإذا عرف الإنسان ما هو الفعل الصواب فإنّه يجب وسيفعل ما هو حق[2]، فالإنسان روح وعقل يسيطر على الحس ويدبّره، والقوانين العادلة في نظره صادرة عن العقل ومطابقة للطبيعة الحقّة، ومنه فالإنسان يريد الخير دائما ويهرب من الشرّ بالضرورة، وبذلك فهو إنسان خيّر، وإلاّ شهواني فرجل جهل نفسه وخيره ولا يعقل أنه يرتكب الشر عمدا وعلى ذلك فالفضيلة علم والرذيلة جهل.[3]

---

[1]- ولترستيس: تاريخ الفلسفة اليونانية، ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد، دار الثقافة للنشر والتوزيع، لبنان بيروت، 1984، ص 25.

[2]- نفس المرجع: ص22.

[3]- يوسف كرم: تاريخ الفلسفة اليونانية، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، لبنان، بيروت، 1982، ص68.

فجهل الإنسان بالخير هو وحده مصدر التورط في الشرّ، وإذا كان الخير يتحد بالسعادة فالشرّ سوف يتحد بالشقاء، بذلك يستحيل على الإنسان أن يرتكب الشر وهو يعلم أنه شرّ إذا ليس من المعقول أن يتخلى عن سعادته بإرادته.

يرى "سقراط" أنّ المعرفة بالنفس هي السبيل الوحيد إلى تحقيق الفضيلة ومنه تحقيق الخير، فالفضيلة بمختلف صورها وأسماؤها تتلخص في شيء واحد هو إدراك الخير ومعرفة أين يكون، فمثلا لا يمكننا الحكم على الشجاعة والعفّة بأنّهما فضيلة ما لم يصطحبهما تعقل وإدراك للخير الذي تعود به على النفس الإنسانية[1].

إنّ الفضيلة في نظر "سقراط" تمثل الخير الذي يسعى إليه الإنسان من خلال أفعاله التي لا يحكمها إلا العقل وحده، ويقول: "ما من إنسان يرتكب الخطأ عمدا، يخطئ لأنّه لا يعرف المفهوم الحق للصواب ولما كان جاهلا فإنه يظن أنّ ما يفعله هو الخير "[2] ، وعليه فالناس جميعا يستهدفون الخير لكنّهم يختلفون في معرفة ماهيته وطرق الوصول إليها.

لقد أدرك سقراط أن معرفة حقيقة الخير والشرّ لا بد أن تكون بمقدور المرء للتمييز بين الحق الباطل، والأمران مرتبطان فكلاهما لا يمكن تمييزه، إلاّ إذا استخدم الإنسان عقله في وضع المفاهيم أو التعريفات الكلية الثابتة لكل شيء، وتحديد ماهيته حسب إدراك ما هو ثابت .

[1] – أميرة حلمي مطر: الفلسفة اليونانية تاريخها ومشكلاتها، دار قباء لطباعة والنشر والتوزيع، مصر، القاهرة، ط1، ص150.

[2] – نفس المرجع ص129.

كما رأى أن كل فرد بإمكانه استخدام هذا الحدس العقلي وأن يعرف الحق والخير ويميزهما عن الباطل والشرّ، سواء لنفسه أو للآخرين، فالمعرفة لا تنفصل عنده عن السلوك وكل من أدرك الخير صار فاضلا[1]، ومادام هذا الكون يخضع في وجوده لتدبير وعناية عقل إلهي-كما يعتقد سقراط- فهو إذا موجّه لغاية مرسومة وخطة معقولة، وكل ما فيها مرتب ترتيبا يحقق الخير والشرّ. وبما أنّ للإنسان نفس عاقلة هي المسيطرة على الجسم، فهي التي توجّه أفعاله نحو الخير فكل من يعرف نفسه سيعرف ما يناسبها وما لا يناسبها وبذلك يعرف الخير والشرّ[2].

إنّ فلسفة سقراط الأخلاقية وفكرته حول الخير والشر تتلخص في أنّ الإنسان لا يرغب في الشرّ إذا عرف أنّه شرّ وإنما يرتكبه عن جهالة به، فهو لا يريد لنفسه إلاّ الخير دائما فالإرادة البشرية في مبدئها غير شريرة[3]، بل كانت خيّرة وصالحة إلاّ أن الجهل هو الذي جعله يرتكب الشرّ والرذيلة.

ثانياً: الخير والشرّ في فلسفة أفلاطون

يمثل "أفلاطون" قمة التحليق في عالم المثل لاكتشاف ما يحقق الوحدة الكاملة للنّفس والوصول إلى حقيقة الخير الأسمى ومثاليته، فقد استمد عناصرها من التعاليم السقراطية فكانت محاوراته أهم ما ميّز فلسفته المثالية، لما جاء فيها من نظريات سياسية وأخلاقية. وبالنسبة لفكرته حول الخير والشرّ فهو لا يختلف على أستاذه سقراط في أنّ الإنسان هو الذي يحدد أفعاله وهو الذي يجعلها خيّرة أو شريرة.

---

[1] – مصطفى النشار:تاريخ الفلسفة اليونانية من منظور شرقي، دار قباء لنشر والتوزيع، لبنان، بيروت، ط1، ج1، 1998 ص128.

[2] – عزت قرني: الفلسفة اليونانية حتى أفلاطون، دار ذات السلاسل، الكويت، 1993، ص120.

[3] – أنجلو شيكوني: أفلاطون والفضيلة ،ترجمة منير سعبيني، دار الجيل، لبنان، بيروت،ط1، 1976، ص35.

يقول "أفلاطون":" بالنسبة لي إنّ الإنسان الصالح الآمن والفاضل هو الإنسان السعيد، سواء كان هذا الإنسان رجلا أو امرأة، في حين أنّ الإنسان التعيس هو الإنسان الشرير واللاعادل والحيواني"[1]، إنّ " أفلاطون" يميّز بين ما هي لذّات صالحة ولذّات شريرة، فهو يرى أنّ الخير هو غاية ونهاية كل أعمالنا الإنسانية وهو مصدر السعادة التي يسعى إليها الإنسان، فالإنسان السعيد هو الذي يفعل الخير في حين أنّ الإنسان التعيس هو ذلك الحيواني الذي يفعل الشرّ.

يؤكّد "أفلاطون" في محاوراته أنّ الفضيلة في حد ذاتها خير للإنسان، و هو في ختام المحاورة يرى أنّ العادل محبوب من جميع الناس ومن الآلهة على السواء، وما يصيبه من شرّ ليس في الحقيقة إلاّ امتحانا ظاهريا لأنّه سيكون في النّهاية أسعد حالا من الظالم، فالعدالة عنده هي أساس كل خير بإعطاء كل ذي حق حقه وعلى كل شخص أن يستخدم ممتلكاته بصورة خيّرة وحكيمة، ويعني بذلك أنّ العدالة هي تكريس للخير العام الذي يشمل كل الناس، وهذا لا يتم إلاّ بواسطة العقل الذي يدرك عالم المثل باختلاف صورها عن المثل ذاتها، فلابد أن يكون هناك شيء أعلى وأسمى من المثل ذاتها وهو "الخير"، فالموجودات البشرية مُعدّة بطبيعتها لإدراك الخير في المدينة الفاضلة، فالنافع هو ما يجلب الخير، والضار ما يجلب الشرّ لهذا الفرد والمدينة، لأن المنفعة التي توسم بالخير هي التي تكمل الشيء وفق حقيقته، والضرر الذي يوسم بالشرّ هو الذي ينقص الشيء أو يقضي عليه، لأنّ كل شيء إنما يقوم بالنّظام والتناسب، فإذا اختلّ النظام فقد الشيء قيمته وفضيلته[2].

[1] – أميرة حلمي مطر:جمهورية أفلاطون، مكتبة الأسرة، مصر،القاهرة، 1994، ص12.

[2] – يوسف كرم: تاريخ الفلسفة اليونانية، مرجع سابق ص127

ويعلّل "أفلاطون" وجود الخير والشر وعلاقته بفعل الخلق بقوله :"إن الخالق كان خيّرا، والخير لا يمكن أن يغار من أي شيء، ولمّا كان خاليا من الغيرة فقد أراد أن تكون جميع الأشياء شبيهة به ما أمكنها ذلك[1].

يؤكد أفلاطون في قوله هذا أنّ أصل الوجود هو الخير لأنّ الخالق خَيّر في طبيعته ومن غير المعقول أن يصدر عنه فعل يناقض طبيعته، بل إنّ الخالق يسعى إلى أن تكون الموجودات في الوجود شبيهه له، وظل وجود الدولة الفاضلة التي يديرها نخبة الحكماء العارفين لماهية الموجودات العلوية والسفلية ووفق حركة العالم الذي يصفه "أفلاطون" بقوله:"إن العالم آية فنية غاية في الجمال، ولا يمكن أن يكون النظام البادي فيما بين الأشياء بالإجمال، وفيما بين أجزاء كل منها بالتفصيل، نتيجة علل اتفاقية، ولكنّه صنع عقل كامل توخى الخير ورتّب كل شيء عن قصد."[2] أي أنّ العالم الذي أوجده اللّه جميل ومنظم وأعطى لمخلوقاته عقلا يميزون به الخير، وهنا ارتبط وجود الخير بالجمال، ومادام العالم في أصله خيّر، وبما أن للإنسان عقل يميز به أفعاله ويتذكر وجودها في عالم المثل ، فهو إذا مسؤول ويجب معاقبته على أفعاله التي تتسم بالشرّ والظلم الخارجة عن قانون المدينة الفاضلة.

فالشرّ الأخلاقي الذي ارتكبه الأشرار بكامل إرادتهم وقدرتهم سيعاقبون عليه وفق القانون الوضعي للدولة (المدينة الفاضلة) أمّا الشرّ الطبيعي فهو نقص في الوجود أو خير أقل[3].

---

[1] – ماجد فخري: تاريخ الفلسفة اليونانية من طاليس إلى أفلوطين وبرقليس، دار العلم للملايين، لبنان، بيروت، ط1، 1991، ص69.

[2] – مصطفى غالب: في السبيل موسوعة فلسفية، منشورات مكتبة الهلال، لبنان، بيروت، 1983، ص83.

[3] – مصطفى غالب: نفس المرجع، ص50 .

إنّ الحياة الحكيمة في نظر "أفلاطون" هي الهدف السّامي التي تهدف إليها النّفس في المدينة الفاضلة، فالنّفس قوة عظمى يحركها الحب، والحب اشتهاء صادر عن الحرمان، إذ ما من أحد يشتهي ما هو حاصل، فهو قَلق دائم وشَوقٌ إلى الخير وغايته، والخير هو وجود ناقص ووسط متحرك من الحرمان في الوجود الذي لا يفنى، والحب هو اشتهاء الحصول على الخير حصولا دائما، فهو جهد الكائن الفاني في سبيل الخلود.[1]

إنّ علاقة الحب بالخير ناتجة في الأساس عن علاقة الحب والجمال، ولا يقصد أفلاطون جمال الأجسام والأشكال بل جمال النّفس (الجمال المعنوي) الذي تشترك فيه جميع المخلوقات، إنّ الحب يمثل الذكرى الأولى لنفس ذكرى الفردوس المفقود الذي تحن إليه بكل جوارحه.[2]

إنّ فكرة الخير والشرّ وعلاقتها بالحب كمصدر لوجودهما في الوجود أو المدينة الفاضلة عند أفلاطون هي أساس فلسفته الأخلاقية، ومرجع للفكر الأخلاقي في العصور اللاحقة، خاصة في الفكر الأخلاقي المسيحي الذي تأثر إلى حد كبير بالفكر الأفلاطوني وكانت مرتكزات مبنية على أفكار "أفلاطون" ومثاليته.

ثالثاً:الخير والشرّ في فلسفة أرسطو(322-384ق م)

تميزت فلسفة أرسطو الأخلاقية بالعقلانية الواقعية وبابتعادها عن فلسفة أستاذه أفلاطون المثالية، فعمد إلى تطوير النظرية السقراطية والأفلاطونية التي ترى أنّ الرجال الطيبين و الخيرين هم منطقيا سعداء[3]، حيث يعتبر أنّ الإنسان يهدف من خلال جميع أفعاله إلى غاية واحدة وهي فعل الخير سواء كان حقيقيا كالفضيلة أو ظاهريا كاللذّة.

---

[1] – نفس المرجع، ص65.

[2] –نفس المرجع ، ص77.

[3] –سامي بن عبد الله بن أحمد المغلوث: أطلس الأديان، مكتبة العبيكان، الرياض ،السعودية،ط1 ،2007، ص182.

إلاّ أنه يبقى الهدف الذي يسعى إليه جميع البشر على الرغم من الاختلاف في الغايات والمآرب.

الخير عند "أرسطو" هو غاية أسمى الفنون والمعارف، وهي السياسة التي تمثل محور الحياة الإنسانية وأساس كل المعارف، فخير الدولة أولى من خير الفرد وأسمى منه وحتى ولو اتفق معه، لأنّ السعادة هي الغاية التي ينشدها الفرد في وجود نظام سياسي يحكم الدولة. ولا تتحقق السعادة باللذات فقط، ولا يمكن لها أن تكون هي الخير الأقصى الذي يسعى إليه الإنسان .

كما يرى أنّ الخير كالوجود، فلا يمكن أن يكون شيئا كليا، وواحدا فإن وجد الموجود الأعظم كان هو الخير الأعظم، فالخير الذي يرجوه "أرسطو" يجب أن يتوفر فيه شرطان، الأول أن يكون غاية قصوى أو خيرا تاما يختاره لذاته ولا يكون وسيلة لغاية أبعد، والثاني ألاّ يكون كافيا بنفسه أي أنّه وحده كفيل بتحقيق السّعادة.

إنّ الفعل الأخلاقي عند "أرسطو"لا يكون خيرا لأنّه يحقق متعة، بل إنّه يحقق لأنّه خير، فالخير الأقصى هو السّعادة والتي تقوم على استخدام الخيرات الطبيعية على أحسن وجه[1]، كما ربط "أرسطو" بين الخير والقانون فالنّاس يتعلمون أن يكونوا أخيارا عن طريق أداء الأفعال الخيّرة في ظل القانون السياسي الذي يحكم الدولة.

رابعاً: الخير والشرّ في الفلسفة الأبيقورية والرواقية :

1- الخير والشرّ في المذهب الأبيقوري :

الأبيقورية مدرسة فلسفية نسبة إلى "أبيقورس" (301-207ق م) أحد كبار ممثليها، ولقد عُرفت الأبيقورية بمبدئها الذي يقوم على تقديس السعادة واللذّة(اللذّة الحسية)، فهم لا يعترفون بغير المادة، ولا يؤمنون بوجود غير مادي حسي.

[1] – توفيق الطويل: الفلسفة الخلقية نشأتها وتطورها، مكتبة النهضة العربية، مصر، القاهرة، 1973، ص31.

فالفلسفة الأبيقورية ترى أنّ الطبيعة هي التي تحكم بما يلائمها ويتماشى مع طبيعتها المادية الخالصة، لا العقل الذي هو في الحقيقة عاجز عن تصور خير مجرد من كل عنصر حسي، وهم يرون أنّ كلّ لذّة خير، وكل وسيلة تحقق لنا لذّة فهي خير بشرط أن تكون اللذّة لذّة فعلية، لأن هناك لذّات لا تكون نتائجها خير، كما أن الألم قد لا ينتج عنه دوما الشرّ، فيجب تعديل الألم باللذّة وتقبل الألم الذي يجر لذّة أعظم.[1]

إنّ الغريزة الإنسانية حسب المذهب الأبيقوري هي التي تتحكم في أفعال الأفراد(تحقيق اللذّات)، فلا يمكن للعقل أن يتصور خير إلاّ وهو مقترن بشيء يُحسّ، لأن الإنسان يلتمس اللذّة بطبيعته، ويُسخِّر العقل لتهيئة الوسائل لتحقيق كل لذّة خير.

فالإنسان الحكيم في نظرهم هو ذلك الحكيم الذي يعمل على ضبط نزعاته ويعرف ما يستحق الإشباع منها وما يستحق القمع[2]،لأنّه كالحيوان يسعى إلى لذّاته بالفطرة، ولكنه حوّل اللذّة الحسية إلى مذهب في الزهد لأنّه رأى أنّ كل لذّة خير ما لم تقترن بألم فتصبح شرّ[3]، وعليه فوجود الخير في الكون مرتبط بمدى توافقه مع الطبيعة والغريزة الإنسانية، إلاّ إذا تعارض معها وأصبح لا يحقق غايته الأسمى وهي تحقيق العادة عن طريق إشباع الرغبات الحسية فهو ينقلب شرًّا وذلك إذا اقترن معه ألم.

إنّ الفلسفة الأخلاقية عند الأبيقوريين تُركز على الجانب المادي الحسّي الذي توفره الطبيعة للأفراد وهم بدورهم يتعايشون في توافق مع مبادئها إن أرادوا تحقيق الخير والسّعادة.

---

[1] – يوسف كرم: تاريخ الفلسفة اليونانية، مرجع سابق، ص 249.

[2] – توفيق الطويل:مذهب المنفعة العامة في الأخلاق، مكتبة النهضة المصرية، مصر، القاهرة،ط1، 1953، ص55.

[3] – إبراهيم مذكور: المعجم الفلسفي: مرجع سابق، ص9.

2- الخير والشرّ في الفلسفة الرواقية :

تطلق الرواقية على المذهب الذي أسسه "زينون الإيلي" و "كليمانت"، ولقد كانت معاصرة للأبيقورية. وتعدّ من بين المدارس الفلسفية اليونانية التي لها صدى في الفكر اليوناني وحتى وفي الفكر العالمي.

أمّا فيما يخص فكرتهم حول الخير والشرّ فهم يرون أنّ الآلهة (العناية الإلهية) بريئة من الشرّ وذلك بقولهم :" إنّ لكل شيء ضده، فالشرّ ضروري للعالم كضد للخير وأنّ الله يريد الخير طبعا، ولكن تحقيق الخير قد يستلزم وسائل لا تكون خيرا من كل وجه"[1]، فالشرّ الخلقي والذي يتمثل في فكرة الخطيئة سببه حرية الإنسان الذي اختاره بكامل قدرته وإرادته، كما أنّ الظروف التي تحيط بالإنسان لها تأثير على أفعال الفرد سواء كانت خير أو شرّ، وهنا يكون للقدر دخل في حياته، فالقدر أوجده الخالق وفق حكمته، وكل ما يحدث للإنسان فهو متضمن في القدر،كما أنّ الخالق زود الإنسان بالعقل وهو أكمل الطرق لتحقيق أسمى الغايات وليستكشف به نفسه ويترجم أفعاله، لأنّه يحي وفق الطبيعة والعقل وهو يطلب ما ينفعه ويتجنب ما يضره، فالخير عند الرواقيين مغاير بالكيف للموضوعات الجزئية لا بالكم، وتؤكد على أنّ الموضوعات الخارجية وإن لم تكن خيرات وشرورا بالذّات إلاّ أنّها مادة الإرادة، فالإنسان الكامل هو من يساير الطبيعة وموضوعاتها ويراها جديرة بالاختيار والموضوعات المضادة لها، فهي منبوذة، أمّا الإنسان الشرير أو الضال هو الذي غابت عنه فكرة الطبيعة الكلية وانحرفت ميوله عن استقامته الأولى وأتخذ نفسه مركزا للوجود وعارض الخير الكلي بأشباه الخيرات الجزئية أو النفعية ،كما أنّ الأحكام الخاطئة هي المسؤولة عن انفعالاتنا الخاطئة التي يجب أن نتحرر منها، فإرادة الإنسان كإرادة الآلهة ولا يمكن أن تناقضها.

[1]- مصطفى النشار: مدرسة الإسكندرية التراث الشرقي في الفلسفة اليونانية، دار المعارف ، لبنان، بيروت، ط1،1995، ص55.

لقد كانت هذه أهم الأفكار الفلسفية حول فكرة الخير والشرّ في الفكر الأخلاقي اليوناني الذي بنيت عليه الفلسفات الأخلاقية بعده،كما قال "بركليس" للأثينيين:" لقد شقّت جرأتنا طريقها برا وبحرا، وشيّدت لنفسها روائع تاريخية لا يمحوها الزمن، سواء في ميادين الخير أو في ميادين الشرّ."[1]

[1]-فريدريك نيتشة: أصل الأخلاق وفصلها، ترجمة حسن قبيسي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان، بيروت، ص32.

-المبحث الثاني: الخير والشرّ في الفكر الأخلاقي الهيلينستي والروماني

يمثل العصر الهلينستي أحد المراحل التاريخية المتأخرة في الفكر اليوناني، وقد أطلق عليه بالعصر الهيلينستي لامتزاج الفكر اليوناني الأول مع غيره من التيارات الفكرية والدينيّة خاصة، فامتزجت الوثنية باليهودية والمسيحية باليهودية لتكون لنا المرحلة الهيلينستية التي تمركزت بشكل واسع في الإسكندرية[1]. وقد اخترنا أهم رواد وفلاسفة هذا الفكر لما كان لهم من تأثير وإسهامات في تاريخ الفكر المسيحي الفلسفي عامة والأخلاقي خاصة.

أولاً: الخير والشرّ في الفلسفة الأفلاطونية الحديثة:

الأفلاطونية الحديثة أو المحدثة تيار فلسفي ظهر في اليونان قبل القرن الأول قبل الميلاد[2]، وهو يعدّ امتدادا لفلسفة "أفلاطون" حتى وإن خالفوه في بعض المبادئ، وظهر في الإسكندرية التي كانت مهدا لامتزاج الثقافات والأديان الوثنية، اليهودية والمسيحية وكان لها دورا مهما في تواصل الفكر الفلسفي بين العالم القديم والعصور الوسطى، ويعد "أفلوطين" من بين أهم رواد هذا المذهب فلقد حاول التوفيق قدر الإمكان بين الفلسفة اليونانية والمسيحية في عصره .

---

[1] – الإسكندرية: وتسمى بالإسكندرية العظمى والتي ببلاد مصر، وقدا اختلفوا فيمن كنّاها، فقيل هو الإسكندر الأول ذو القرنين الرومي، وقيل الإسكندر بن فيلفوس، وقيل أنه جبير المؤتفكي. انظر ياقوت الحموي، مرجع سابق، ج1، ص173/ 174.

[2] – محمد مهران رشوان: تطور الفكر الأخلاقي في الفلسفة الغربية، دار قباء للطباعة والنشر، لبنان، بيروت، 1992، ص110.

إنّ مشكلة الخير والشرّ عند "أفلوطين" متعلقة بالعالم المحسوس الذي يصفه بأنّه عالم ناقص وشرير ومن الخير الخلاص منه، وهو مصدر كل الفساد والشرور، ولا يمكن تفسير وجود الشرّ إلاّ إذا ارتبط بالحقائق الغير محسوسة الموجودة في عالم العقل، وأحيانا يناقض كلامه بالقول أنّ هذا العالم ليس شراكله، بل يوجد خير في العالم المحسوس.

وهو هنا يعارض آباء الكنيسة من المسيحيين الذين يرون في العالم شرا وخطيئة ونقصانا لأنّه يرى أنه من غير المعقول أن يكون العالم كله مليء مع أنّه ليس إلاّ صورة اللّه الذي يقدسونه ولا يمكن أن يكون كذلك مع وجود العقل في الإنسان وسيادة العناية الإلهية. ويقول "أفلوطين" : "بما أنّ الخير لا يوجد بمفرده، فإنه يوجد ضروريا في سلسلة الأشياء التي تخرج منه حد نهايته خير، بعده لا يمكن أن يتولد شيء بعده وهذا الحد الأخير هو الشرّ."[1] أي أنّ المادة التي تتمثل في العالم المحسوس لا يوجد بها أي خير ومادامت –المادة– بعيدة عنه فهي إذا مصدر ومبدأ كل الشر في العالم، فالنّفس الشريرة ليست بذاتها ولكن جزءها الغير عاقل هو سبب ذلك، لأنّه تخلى عن الحق والخير وأتجه نحو المادة، فالشرّ له وجود ذاتي ولكنّه ليس إلها أو نفسا، ووجوده في النّفس يأتي من اتصالها بالذّات، ويفسر "أفلوطين" وجود الشر بقوله:"لما كان الشر عدم الخير، وكان الشر اللاوجود ولما كانت المادة لا تعنينا أي اللاوجود وكانت الصورة خير كانت المادة هي الشرّ بالذّات." فهو يؤكد على أنه يجب اتباع كل ما هو روحي غير حسي أو مادي، وعليه تنتهي فلسفته إلى التأكيدة على الانسجام ونظام الخير في الأشياء فَتُحْيي القلوب، وتنعش النفوس وتغذيها بالأمل، فالوجود عنده دائما متحد بالخير[2]، إلاّ أنّ المادّة هي سبب ومرجع كل الشرّ.

---

[1]- حزبي عباس عطيتوا: الفكر الفلسفي والديني في الإسكندرية القديمة، العربية، دار العلوم، لبنان، بيروت، 1992، ص168.

[2] - نفس الرجع، ص169.

ثانياً: الخير والشرّ في فلسفة فيلون الإسكندري (25–40ق م)

يتمتع "فيلون" بمكانة فكرية هامة في الفكر اليهودي والهيلينستي لأنّه أوّل فيلسوف قام بمزج الأفكار اليونانية باليهودية، فجمع بين الفلسفة واللاهوت.

وكان الأصل عنده هو الدين، ومنه انبثقت نظريته حول أصل الخير والشرّ، فهو يذهب إلى القول بأنّ الله مصدر كل الخير في هذا الوجود، ولولاه لما كان ثمة خير.

والشيطان هو أصل كل الشرور لأنّ الله لا يفعل القبيح وكل ما يفعله الله هو الخير، وما يصدر من شرّ في العالم لا يمكن أن ننسبه إليه لأنّ ما هو خير لا يصدر عنه إلاّ الخير[1].

لقد ارتبطت ثنائية الخير والشرّ عند "فيلون" بالله والعالم المعقول والمادة، لأنّ العالم عبارة عن متضادات أحدهما خير والآخر شرّ، ورغم أنّ الله مصدر الأشياء كلها إلاّ أنّه ليس مصدر ولا خالق المادّة الأولى قبل أن تتشكل في صورتها الحالية، أي قبل أن يصير العالم المحسوس، أي أن (المادّة عنصر مضاد لله) أساس الشرور والله لا يخلق شيئا يكون شرّا، لأنّ الله يمثل الخير الأعظم الذي ليس بمثله شيء.

لقد كانت فكرة ثنائية الخير والشرّ في فلسفة فيلون ذات بعد ديني وفلسفي في عصره وذات صدى في بداية ظهور المسيحية الأولى في روما، خاصة في خضم الصراعات الدّينية بين الوثنية واليهودية وبين المسيحية واليهودية إلى جانب اعتقادات الوثنين التي سيطرت على عقول الرومان آنذاك، فكان اختيارنا لهذه الشخصية لما لها تأثير فيما بعد على المسيحية الأولى .

[1]– مصطفى النشار: مدرسة الإسكندرية الفلسفية، التراث الشرقي في الفلسفة اليونانية، دار المعارف، لبنان،بيروت، ط1، 1995 ، ص64.

ثالثاً: الخير والشرّ في المانوية

تعدّ المانوية أحد التيارات الفلسفية الدينية التي هددت المسيحية، وتنسب إلى مؤسسها "ماني بن فاتك"، وقد اتصلت ثنائية الخير والشرّ في المانوية بتقسيم العالم إلى مملكتين متنافستين وغير متكافئتين، أحدهما مملكة النور وهي تمثل موطن الخير والأخرى مملكة الظلام وتمثل موطن الشرّ[1].

ترى المانوية أنّ الأرض تتبع مملكة الظلمة، وأنّ الشيطان هو الذي خلق الإنسان، وعليه فالإنسان شرير في أول خلقه ولكن ملائكة إله النور التي استطاعة أن تُدخل إلى البشرية بعض عناصر النور وهي العقل والذكاء والتفكير، والتي ساهمت في وجود الخير في الكون.

كما يرون أنّ ما في العالم من منفعة وخير وبركة هي من أجناس النور وما فيه من مضرة وشرّ وفساد فهي من أجناس الظلمة.

إنّ فكرة الخير والشرّ في المانوية تستند إلى القول بوجود كائن ثنائي الطبيعة وبوجود مبدأين أو كائنين يسيطران على هذا العالم كما رأينا سابقا، وقد كانا في البداية منفصلين ثم امتزجا وبذلك نشأ الكون بما فيه من طواطم وحوادث وأجسام كثيفة وكائنات فيه[2] ، وهما مبدأ النور والظلمة الذي كان الأسبق بالاجتياح لأنّ النور خير بطبيعته، فالنور مصدر الخير والظلام مصدر الشرّ، ولكل منهما القدرة على التمييز وإدراك الألوان والأطعمة إلى جانب الروائح والأصوات والقدرة على الملامسة.

[1] - فراس السواح: دين الانسان، منشورات علاء الدين، سوريا، دمشق، ط1، 2002، ص102.

[2] - محمد صالح محمد السيد: مرجع سابق، ص199.

وعليه فكل ما هو جميل وخير ونافع فهو صادر عن النور، وكل ما هو ضار وقبيح ومفسد فهو من الظلام، فأصل الخير والشرّ في المانوية هما النور والظلام وامتزاجهما، خلقا الكون وكل ما فيه من ثنائيات.[1]

كانت الأفكار التي دعت إليها المانوية في فلسفتها تشكل خطرا على المسيحية، كما أنّ أوغسطين في بداية حياته آمن بهذا المذهب ودعا إليه، إلاّ أنّه تخلى عنه لما فيه من مغالطات وكفر لا يوصل إلى الحقيقة والإيمان، بل هو يبعد معتنقيه عن الإيمان بالله ووجوده.

تعد فكرة ظهور الخير والشرّ قبل القديس أوغسطين وأراء الفلاسفة الذين أشرنا إليهم في هذا الفصل، لها أثر على فلسفة أوغسطين الأخلاقي ذات البعد الفلسفي والدّيني سواء في الفكر اليهودي أو المسيحي وحتى المسلمين الذين درسوا تاريخ الفلسفة اليونانية وتأثروا ببعدها الأخلاقي.

[1]- نفس المرجع، ص199.

الفصل الثالث

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الثالث: الخير والشرّ في فكر القدّيس أوغسطين

* المبحث الأول: المسيحية في عصر القدّيس أوغسطين

أولاً: الأوضاع الفكرية والسياسية في عصر القدّيس أوغسطين

ثانياً: ظهور المسيحية وتطورها

ثالثاً: الأخلاق المسيحية وعلاقتها بالخير والشرّ

* المبحث الثاني: الخير والشرّ في فلسفة أوغسطين

أولاً: مفهوم الخير والشرّ في المدينتان

ثانياً: أصل وجود الخير والشرّ عند أوغسطين

ثالثاً: صور الخير والشرّ وغايتهما عند أوغسطين

* المبحث الثالث: أثر وجود الخير والشرّ في المجتمع المدني

أولاً: الفضيلة والسّعادة

ثانياً: الجزاء والمسؤولية

ثالثاً: أثر القانون والعدالة في المجتمع المدني

الفصل الثالث: الخير و الشرّ في فكر القدّيس أوغسطين.

تمهيد:

من المعلوم أنّ لكل شخص أهداف معينة وطبائع خاصة، وهي تختلف من فرد إلى فرد وهذا ما أدّى إلى التساؤل عن معنى الخير والشرّ، وهل هناك أساس معين لحكمنا على فعل من الأفعال بالخيرية أو الشرية ؟ حيث توجد أفعال لا يمكننا الحكم عليها بأنّها خير ولاهي شرّ كالأفعال الإرادية التي يفعلها الإنسان (التنفس مثلا)، وهي أفعال لا يدرسها علم الأخلاق، فلا تخضع للحكم الأخلاقي ولا يمكن القول عنها بأنّها خير أو شرّ، وتوجد الأفعال الإرادية التي تصدر عن الإنسان بوعي منه ويدرك نتائجها وهي التي تخضع للحكم، وبذلك يحكم على فاعلها بأنّه إنسان خيّر أو شرير وعليه إذا كانت غاية الأخلاق هي الخير والابتعاد عن الشرّ، فما مفهوم الخير و الشرّ عند القدّيس أوغسطين؟ وما السبيل للتمييز بينهما ؟ وما أثرهما في المجتمع عنده؟

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول: المسيحية في عصر القدّيس أوغسطين

للحديث عن المسيحية في عصر القدّيس أوغسطين يستوجب علينا دراسة الأوضاع الفكرية والسياسية في عصره، ثم الحديث عن ظهور المسيحية وتطورها مع التفصيل في الأخلاق المسيحية وعلاقتها بالخير والشرّ.

أولاً: الأوضاع الفكرية والسياسية في عصر أوغسطين :

تعتبر الحضارة الرومانية منذ نشأت روما سنة 754 ق م على الضفة اليسرى لنهر "التيبر"، من أهم الإمبراطوريات التي عرفها التاريخ الإنساني، فلقد كانت تمثل الدولة العالمية التي تسيطر على مختلف الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية، إلّا أنّ هذه القوى والسيطرة لم تمنعها من مواجهة الأزمات والاضطرابات السياسية والعسكرية إلى جانب التغيرات الفكرية والدّينية التي مسّت سكان الإمبراطورية الرومانية خاصة في الفترة الممتدة مابين (91 ق م، 33ق م)[1]، في بداية الحكم الإمبراطوري في روما وهو آخر نظام حكم عرفته وهي في مجد قوتها وعظمتها، وكانت الإمبراطورية الرومانية تقوم على تعدد الأديان والاعتراف بها جميعا خاصة أنّها لا تشكل خطرا على الدولة، إلى أن جاء الإمبراطور "سبتيموس سوبرس" في سنة (202م)، حيث أصدر قانونا يحرّم اعتناق اليهودية والمسيحية على من ليسو يهودا أو نصارى[2]، ومع هذه الفترة بدأ الاضطهاد ضد المسيحيين بشكل واسع في أرجاء روما، رغم توفير الإمبراطور "جالينوس" أماكن خاصة لهم بالعبادة والدفن إلاّ أنّ هذا لم يخفف من حدة الاضطهادات والتعسّف ضدّ معتنقي المسيحية.

---

[1] –جان جاك شوفاليه: تاريخ الفكر السياسي "من المدينة الدولة إلى الدولة القومية" ترجمة محمد عرب صاصيك ، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان، بيروت،ط5، 2008، ص145.

[2] –عبد المجيد عمراني: محاضرات في تاريخ الفكر السياسي، منشورات الخبر، الجزائر، بني مسّوس، ط1، 2008، ص46.

وفي ضل التغيرات السياسية التي حدثت في روما من كثرة الحروب والأزمات تغيرت نظرة الأباطرة للمسيحيين وأصبحت ترى أنّهم فئة هدامة تهدد مصالحها وأمنها.

أصدرت الدولة قانونا يحرّم اعتناق المسيحية لأنّها جرم يعاقب عليه المواطنون، ومن أهم الاضطهادات التي عرفتها المسيحية التي حدثت في حكم الإمبراطور "نيرون" الذي تفنّن في ترهيبهم وتعذيبهم، ثم في زمن حكم "دينوسيوس"، الذي أبعد المسيحيين عن المشاركة في الحكم أو القيام بأي عمل سياسي، أي حُرموا من كونهم مواطنون في الإمبراطورية،كما اتّهم المسيحيين بأنّهم لا يدينون بالولاء للقيصر ولا لدينه وأنّهم غير مخلصين للوطن لأنّهم تنبؤا بسقوط روما وأنّهم غير متجاوبين مع الظروف الحياتية للدولة، خاصة وأنّهم لم يشاركوا في الطقوس الدينية، وكل هذه الإساءات إلى المسيحيين لم تنقص من قوتهم وإرادتهم في نشر المسيحية، بل زادت الكنيسة توسعا وصبرت على ما لاقته من الوثنيين.

ظلت المسيحية تعاني إلى غاية مجيء الإمبراطور "قسطنطين" (27-337م) الذي أصدر قانون ميلانو سنة (311م) وصرّح فيه بأنّ المسيحية مُساوية لباقي الأديان في الإمبراطورية[1] ولها كامل الحق في التوسّع والانتشار، ثم اعتنق الإمبراطور قسطنطين المسيحية وأصبحت هي الدّين الأول في الإمبراطورية، إلاّ أنّه أبقى على التعايش بين مختلف الأديان، وهذا لم يخفف من اضطهاد المسيحية بل زادت من حدته، وبقيت الدّيانات الوثنية حرة إلى غاية تحريمها نهائيا.

إنّ هذه الظروف السياسية أدت إلى اختلال فكري وأخلاقي في روما خاصة بعد أن اتهمت المسيحية بأنّها سبب سقوط الإمبراطورية التي تخلت عن وثنيتها وعبادة آلهتها التي كانت دوما تحميها من أجل المسيحية، هذه الأخيرة التي لم تكن قادرة على تحقيق أهداف الإمبراطورية ولا حمايتها.

[1]- جون لوك: رسالة في التسامح،ط1ترجمة عبد الرحمن بدوي ،(،لبنان,بيروت،دار الغرب)1988،ص10.

لقد أصبح الرومانيون يرون أنّ تخليهم عن آلهتهم واعتناق المسيحية هو السبب في معاناتهم، كل هذه الأحداث استدعت القدّيس أوغسطين بأن يدافع عن المسيحية وتبرئتها من كل ما نسب إليها بعد أن شاع الانحلال السياسي والأخلاقي في الدولة.

كما أرجع أوغسطين سقوط الإمبراطورية إلى عدة أسباب منها السياسية والدّينية والأخلاقية، حيث يؤكد على أنّ الوثنية كانت عاجزة عن توفير السّعادة الأرضية، لأنّ روما مدينة آثمة وتخلت عن مبادئ الأخلاق التي جاءت بها المسيحية، وتمسكت بآلهتها المتعددة، في حين يوجد إله واحد فقط لا يعبد إلاّ هو ولا تقدم الطاعة والقرابين إلاّ له، وهذا في قوله :"من ذبح للآلهة إلاّ الرب وحده فليبسل"[1]،كما أنّ مواطنو روما أصبحت تحكمهم الأخلاق، فكل مواطن يحمل في ذاته الأنانية والمكر والخداع. إنّ انعدام الفضيلة والأخلاق هي سبب كل ما يحدث في روما بحيث يقول أوغسطين :"... الجمال في الفضيلة، وحب الوطن، والثقة في الصداقة والأعمال الصالحة وكل ما يتعلق بالأخلاق الحميدة وإن جهلوا الغاية والواسطة"[2] ، أي أن الأخلاق الحميدة هي أساس كل ازدهار واستقرار، إلّا أنّ المجتمع الروماني اختار إتباع الرذائل والآثام وانعدام العدالة قد سيطرت عليه، وهكذا كانت دعوة أوغسطين إلى الإيمان بالمسيحية وبالأخلاق التي جاءت فيها .

ثانياً: ظهور المسيحية وتطورها

للحديث عن المسيحية التي يؤمن بها المسيحيون، يجب علينا التكلم عن مسيحية عيسى -عليه السلام- التي أنزلت في الإنجيل الذي جاء به، فالمسيحية هي الرسالة التي أنزلت على سيدنا عيسى بن مريم- عليه السلام-

[1] -أوغسطين: مدينة الله،ترجمة يوحنا الحلو، دار المشرق، بيروت، لبنان، ط2، ج3، 2007، ص151 .

[2] - أوغسطين:نفس المصدر،ص152.

وقد بشّر بمجيء نبي إلى بني إسرائيل في التوراة، وكانت دعوة سيدنا عيسى تنصّ على التوحيد والفضيلة والتسامح، حيث ينصّ القرآن الكريم على أنّ عقيدة المسيح هي التوحيد الكامل، التوحيد في العبادة، ألاّ يعبد إلاّ الله، والتوحيد في التكوين، وفي الذات والصفات، والإيمان بأنّ الله منزّه عن كل شيء، ودعوته تنصّ على عدم وجود واسطة بين الله وعباده[1].

كانت هذه تعاليم المسيحية الحقّة التي جاء بها عيسى بن مريم، إلاّ أنّها واجهت رفضا واضطرابات وانتقادات شديدة في بدايتها وأدّى هذا إلى اندثار تعاليمها الأولى وابتعدت عن أصول الإنجيل المنزّل من عند الله سبحانه وتعالى، وبدأ التحريف يمس بنصوصها الشرعية خاصة بعد امتزاجها بمعتقدات فلسفية وثنية وباليهودية التي كانت الدّيانة الأولى في ذلك العصر والمسيطر على عقول الناس آنذاك، فاضطُهدت المسيحية إلى أبعد الحدود لأنها كانت تمثّل القوى الدّينية العظمى في روما[2].

بعد انحراف المسيحية عن أصولها الأولى أصبحت مزيجا من عدّة مذاهب يهودية كالآسينية التي تقترب في مبادئ تعاليمها من تعاليم السيد المسيح إضافة إلى الفرّيسية،كما تأثرت بتيارات الفكر الهيليني كفلسفة "فيلون الإسكندري" التي تجلّت بوضوح في عقائد المسيحية،كل هذه الأفكار والتيارات أدّت إلى دحض الإنجيل الأول الذي نزل على عيسى بن مريم وظهور بدل ذلك أربعة أناجيل أخرى وهي إنجيل يوحنا، إنجيل لوقا، إنجيل متى وإنجيل مرقس، وهي نتاج ثقافات وأفكار غير المسيحيين في أغلبها إضافة إلى رسائل رسول المسيحيين خاصة " بولس"(شاؤول) الذي يعد المؤسس الحقيقي للمسيحية بعد السيد المسيح وهو من أصول يهودية[3].

---

[1] – محمد أبو زهرة :محاضرات في النصرانية، طبعة الرئاسة للبحوث العلمية، الرياض، دت، ص86.

[2] – سامي بن عبد الله بن أحمد المغلوث:نفس المرجع،ص174.

[3] – موسى معيرش: مرجع سابق، ص31.

كان في بداية حياته على ملّة اليهود وكان من بين أشد الناس عدائية للمسيحية، ثم آمن بها وأصبح من أهم رسلها، فقد أدخل على المسيحية تعاليم ومعتقدات جديدة فهو الذي أخرجها من الإيمان بالتوحيد إلى الإيمان بالتثليث. إنّ بولس يؤكد على أنّ يسوع(المسيح) هو ابن الله، وأحد أقطاب التثليث، وجاء ليمحي خطايا البشر،كما نقل إلى المسيحية الكثير من الفكر الإسكندري (الهيلينستي)، وقال بأنّ عيسى لم يكن المسيح الموعود فقط، بل إنّ الله نزل إلى الأرض ليقدم نفسه قربانا ويصلب تكفيرا عن خطيئة البشر لأنّ موته وصلبه تضحية منه ومحبّة للبشر.

يمكننا تلخيص تعاليم مسيحية "بولس" في أربعة نقاط وهي :

1- المسيحية ليست دينا لبني إسرائيل فقط، بل هي دين عالمي.

2- قوله بالتثليث والخلق، ومعناه وجود الله وألوهية المسيح وألوهية روح القدس.

3- عيسى ابن الله ونزل ليضحي بنفسه تكفيرا عن خطايا آدم وذريته.

4- قيام عيسى من الأموات وصعوده ليجلس على يمين أبيه ليحكم معه.

هذه هي المعتقدات التي جاءت في الأناجيل وتُنسب إلى "بولس" لأنّه من وضع فكرة الألوهية والغفران، والمحبة إلى جانب فكرة الإيمان والخلاص.

إنّ شخصية بولس وحنكته ساعدت في ترسيخ أرائه ومسيحيته في عقول المسيحيين فآمنوا بفكرة الأقانيم الثلاثة (الأب ، الإبن، روح القدس)، فالله خلق العالم باختياره وأنّه يستمر وفقا لعنايته[1] والمسيح جاء ليبدّل عهدا قديما بعهد جديد فاستعار من اليونان اتصال الإله بالابن[2].

[1]-محمد بو الروايح: أضواء على الطوائف الدينية المعاصرة، نوميديا للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، قسنطينة، 2010، ص41.

[2]- سامي بن عبد الله بن أحمد المغلوث: نفس المرجع، ص175.

ويؤكد "بولس" في رسائله على فكرة الخلاص بعد سقوط الإنسان في الخطيئة التي اقترفها آدم وحواء بعد أن أكلا من شجرة المعرفة، فورث أبناء آدم هذه الخطيئة بعده وانتشرت بذلك الخطايا والآثام في العالم، ولا يمكن الخلاص منها إلّا بنزول يسوع لأنّه لم يخلق من نطفة رجل ولأنّ دمه طاهر، فمخلص البشرية جاء في هيئة عيسى والله قد أرسل ابنه الوحيد إلى الأرض حتى يتحمل الألم والموت على الصليب، وإراقة دمه هي التي تكفر خطايا البشر[1].

ويبين "بولس" أن بصَلب المسيح يتخلص البشر من الخطيئة الأولى وخطاياهم التي ارتكبوهافي الأرض كما قال: "إن موت المسيح وبالتالي سرّ الفداء يتمثل في نقطة الدائرة من الدين المسيحي، لقد تم مفعول الوساطة بموت المسيح وسفك دمه الذي به كفّر عن خطايا أرض الله"[2]

إنّ تعاليم "بولس" هي التي تأسست عليها الأخلاق فيما بعد ابتداءا من فكرة الخطيئة ووجود الشرّ في الأرض، فالخطيئة في نظر المسيحيين هي هدم وتحطيم النّظام الإلهي ولذلك فالإنسان حيث يخطئ فإنّه يحطم مالا يستطيع أن يعيد خلقه مرة أخرى، واستقامته هي إرادته نفسها نعمة من الله الذي يستطيع وحده أن يعبده آلة وضعه السابق، فالمسيحي يجد نفسه قائما في نظام تسعى فيه الأخلاق الطبيعية باعتباره مكملها الضروري، ووجب عليه اكتساب الفضائل عن طريق النعمة الإلهية[3].

---

[1] – بربارا براون: نظرة عن قرب في المسيحية، ترجمة مناف حسين الياسري، التوحيد للنشر، لبنان، بيروت، ص38.

[2] – محمد مجدي مرجان: المسيح إنسان أم إله، مكتبة النافذة، لبنان، بيروت، 2004، ص111.

[3] – إنين جاليسون:روح الفلسفة في العصر الوسيط، ترجمة إمام عبد الفتاح، مكتبة مدبولي، لبنان،بيروت،1996، ص394/ 395.

كما أن تصوّر الشرّ في الفلسفة الأخلاقية اليونانية ليس نفسه تصور المسيحية، وكيف يمكن للمؤمن المسيحي أن يتخلص من آثامه وشروره في ظل وجود يسوع المخلص وروح القدس التي تمثل محبة الله لعباده، وهذا ما سنتطرق إليه لاحقا في الأخلاق المسيحية وعلاقتها بمحبة الله .

ثالثاً: الأخلاق المسيحية وعلاقتها بالخير والشرّ

إنّ البحث عن الأخلاق في المسيحية يقودنا إلى الحديث عن امتزاجها بأخلاق الفكر اليوناني والروماني لتأثّر مؤسسي المسيحية بأكبر فلاسفة هذه العصور كأفلاطون والرواقية والأبيقورية إلى جانب "فيلون" والأفلاطونية الحديثة، فكل هذه الفلسفات مهدت لظهور فكر أخلاقي مسيحي انتشر في بدايته على يد "بولس"، ومن البديهي أن يلعب الوحي الدّيني الإلهي المصدر الأول للسلطة الأخلاقية لأنّ الإرادة الإلهية خيّرة.

إلّا أن الفلسفة الأخلاقية في المسيحية قامت على أساس الشهوة التي تستعبد الناس ولا يمكن للإنسان أن يخلص منها ويعيش طاهرا في حياته الدنيا حيث يقول المسيح:"ومن منكم بلا خطيئة فليرمها بحجر."[1]

إنّ أهم الأخلاق التي دعت إليها المسيحية هي الابتعاد عن الشرّ والتسامح والعفو عن الآخرين، فهي تحث المسيحيين على أن يحترموا حياة القريب ويبغضوا حياتهم، لأنّ يسوع يدين القتل والحرب وعقوبة الإعدام وعلى المسيحيين ألاّ يقابلوا الشرّ بالعنف بل بالصفح وفي هذا قال "يسوع ":"وأمّا أنا فأقول لكم لا تقاوموا الشر بل من لطمك على خدك الأيمن فحول له خدك الأخر أيضا ومن أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك فاترك له الرداء أيضا.."[2]

[1] – محمد مهران: نفس المرجع، ص122.

[2] – ألبيربابة: أخلاق الإنجيل، ترجمة عادل العوى، دار الحصاد، سوريا، دمشق، دت، ص55.

كما تدعوا الأخلاق المسيحية إلى فعل الخير والتمسك بالفضيلة، فلا قيمة للإيمان دونهما، والإنسان في الإنجيل مسؤول عن أفعاله، فإن آمن وصنع خير فهو يثاب وإن صنع شرّا ولم يؤمن فسيعاقب أي أنّ الإنسان حر في صنع الخير والشرّ.

كما أنّ من يفعل الشرّ ما هو إلا ابن إبليس مصدر كل الشرور في هذا العالم، فالإنسان إذا أراد الخير اختاره وإن أراد الشرّ فبإرادته.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الثاني: الخير والشرّ في فلسفة القدّيس أوغسطين

لقد درسنا في هذا المبحث تحليل مسألة الخير والشر عند أوغسطين، وذلك بداية بمفهومهما في المدينتان الإلهية والأرضية، وأصل وجودهما، كما تطرقنا إلى دراسة صور الخير والشرّ وغايتهما عنده.

أولاً: مفهوم الخير والشرّ في المدينتان(الإلهية والأرضية)

يرتبط مفهوم الخير والشرّ عند أوغسطين بالمدينة الإلهية والأرضية التي وُجدتَا لطائفتين من البشر وهم المؤمنون وغير المؤمنون، فيقول أوغسطين عن سبب وجود المدينتان :"...هكذا فإنّ الله الذي يعطي جمهور الخطّاء أهمية، يعرف أنّ تدبير أمرهم لئلا يلقوا الفوضى والفساد في إدارة مملكته، وحذار أن نفكر في أنّ الشيطان قد انتصر لأنّه اجتذب إليه عدد كبير من الناس لأنّه من الممكن التغلب عليه بعدد قليل، لهذا السبب نشأت مدينتان مدينة الأشرار ومدينة الأبرار وكلاهما تُتَابعان سيرهما منذ نشأة الجنس البشري حتى نهاية العالم..."،[1] ترجع نظرية المدينتان الأوغسطينيتان لأصول مانوية، فمدينة الله عند أوغسطين ما هي إلّا مدينة النور والخير في المانوية، بينما توازي مدينة الأرض عنده الظلمات والشر في المانوية. فالمدينة السّماوية أسّسها الله ومُلكها في تواجد العالم الأرضي، وتضم فئة من البشر ينتظرون كل الخيرات الأبدية، وفي العالم الأرضي فهي تمثل الخيرات الدّنيوية.

[1] – القديس أوغسطين :تعليم المبتدئين أصول الدين المسيحي، ترجمة الخوري يوحنا الحلو، دار المشرق، لبنان، بيروت، ط1، ص58.

أ- المدينة الإلهية : هي مدينة الله التي سيعيش فيها النّاس الصالحين الذين لم يبتعدوا عن الله وعن تعاليم السيد المسيح فيقول: "إنّنا نسمي مدينة الله تلك التي يشهد لها الكتاب المقدّس، بما له من سلطة إلهية، قلّدته إياها العناية الإلهية."[1] ومكان المدينة الإلهية في السماء فوق الأرض، وهي تنتظر الرجوع إلى أصلها، وفيها لا يعبد إلا الله الحق وكل من فيها يؤمن به، وهي تتمجّد في الرّب وهو مجدها الأكبر.

ب – المدينة الأرضية (الدنيوية): وهي المدينة التي يعيش فيها الناس وفق رغباتهم الذاتية وشهواتهم الجسدية، فسكانها اتبعوا رغباتهم ونزواتهم وحبهم لذاتهم مما أدّى إلى احتقارهم الله، وهذا ما أدّى إلى وجود المدينة الأرضية، إنّ شهوات الجسد في الكتاب المقدس ترادف الإنسان الطبيعي، وتظم كل أفعال الإنسان ورغباته إلى الحد الذي لا تخضع فيه لله، وكل مواطن شهواني يضع خيره الأسمى في اللذّة، وعلى الحكمة من حيث إنْ طلبها يُبعث على حب زائف أو حب الذّات وليس حب الحقيقة، إنّ المحبة تتميز باستقلالها الكامل وتصور نفسها بأنها النقيض الخالص لحياة الطاعة والخضوع المعظّم لله في اعتقاد سكان المدينة الأرضية وهذا ما فعله قابيل الذي لم يندم على خطيئته وعصيانه، وهي أول خطيئة في الأرض بعد نزول سيدنا آدم إلى الأرض آثرا خطيئته في الجنّة.أي أنها تتميز بحب الذات واحتقار الله، وتتمجد في ذاتها وغاياتها الزائفة. يرى أوغسطين أنّ المدينة الإلهية والتي تمثلها الكنيسة تتعايش مع المدينة الأرضية وفقا لتعاقب التاريخ لهما، وتاريخ وجودهما يبدأ من خلق آدم وهي بداية التاريخ وتنتهي بيوم القيامة وهي المرحلة التي يأتي فيها ملكوت المسيح ليخلص المؤمنون من شرور المدينة الأرضية ويجازى سكان المدينة الإلهية وهم المؤمنون بعودتهم إلى الجنة[2].

---

[1] – إبراهيم شوقي أباضه وعبد العزيز الغنام:بتاريخ الفكر السياسي، دار النجاح، لبنان بيروت، ط1، 1973، ص113/ 114.

[2] – هاشم يحي الملاح: المفصل في فلسفة التاريخ، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ط1، 2007، ص96.

فوجود مدينتين أدّى إلى تمييز نمطين من النّاس، أولئك اللذين يتوقون إلى الحياة وفقا للجسد وهم أصحاب المدينة الأرضية أو مدينة الشيطان، والنمط الثاني هم أولئك الذين يتقون إلى الحياة وفقا للرّوح وهم أصحاب مدينة الله، والعلاقة التي تجمع بينهم هي علاقة محبة الله والخير.

يبحث أوغسطين في فكرة الخير والشرّ في كل من المدينتان وعن هدف الحياة البشرية ونوعية السعادة التي لا يمكن أن تتحقق إلاّ من خلال مفهوم "شيشرون" للفضائل، كما أنّ تفسيره للسّعادة قريب من طريقة "أرسطو" و"أفلاطون"، إضافة إلى الرغبة في السلام أقوى من كل شرّ ويرافق الشرّ باستمرار الرغبة في خير ما، حيث درس أوغسطين الخير الموجود في هذا العالم، في المدينة الأرضية التي تخدم مدينة الله،[1]، وهي تمثل أسس الوجود السياسية، وكذا تحدد الشعب والدولة، فأوغسطين ربط بينها وبين وجود الخير والشرّ، ومفهومه عن الشرّ الذي عده عدماً بوصفه افتقاراً ونقصاً في النظام المناسب ومن ثم وجد أنّ الشرّ ليس جوهراً قائماً بذاته ليستوجب أن يخلقه الله، وإنّما هو عدم الخير أو اللاّخير، فهو إذن مرتبط بالخير الذي هو جوهر قائم بذاته. فالهدف الذي تحاول كل من المدينة الأرضية والمدينة السماوية تحقيقه هو حقيقة توازي السّعادة المرجوة من الله، لأنّ مشكلة الغاية من الخيور والشرور هي ما يجعل الإنسان سعيدا، فالغاية من الخير هو ما يجب أن يسعى إليه الإنسان ويحققه، والغاية من الشرّ ما يجب أن يتجنبه، فالخير ما يجب الأخذ به، وهو ما يحقّقه الإنسان للوصول إلى الكمال، لا ما يقضي عليه، والشر كل ما يوصل إلى الأذى، وهذا ما يسمى بالخير الأسمى والشر الأقصى[2]، ومن هنا وجب على الإنسان أن يبلغ الخير الأسمى، واجتنابه الشر الأقصى.

[1] -أوغسطين: مدينة لله، ترجمة ج كومبيه، ،منشورات المكتبة الأوغسطينية، لبنان، بيروت، ط4،ج3، 2007 ، ص465.

[2] -إنين جاليسون: مقدمة لدارسة القديس أوغسطين،منشورات باريس، لبنان، بيروت، ط2، 1943، ص231/ 232.

فدارسي الحكمة حسب رأي أوغسطين هم الذين لم تسمح لهم على ما في ضلالهم من تنوع غريزتهم الطبيعية بالتخلي إلى الحد الكبير عن طريق الحقيقة، فوضعوا في النّفس غاية الخيور والشرور، والبعض صنعوها في الجسد والبعض في الاثنين معا[1].فالإنسان بفطرته يملك تلك اللذّة التي تقوم على إثارة الحواس حتى النّشوة والراحة أو الخلوّ التام من كل ألم، فالخيور الأولى للطبيعة التي تتضمن السابقين وكذا الصحة الجسدية له وسلامة الأعضاء والمواهب العقلية، فهذه الأمور هي التي يجب الحصول عليها والبحث عن الفضيلة وهي ثمرة التربية والأخلاق، إنّ المدينتان تخضعان في آن واحد للشرور الدنيوية، وهذا يعني أنّهما ممتزجتان الواحدة بالأخرى، وأنّهما سوف تتمايزا يوم الحساب، حيث تحصل كل واحدة على غايتها الخاصة، فخيرات المدينة الأرضية بالنسبة لأولئك الذين لا يعيشون إلا حياة الإنسان القديم هي الخيرات التي يتمتعون بها، أمّا بالنسبة لأولئك الذين يعيشون في هذه المدينة هي حياة الإنسان الجديد المولود من النعمة فإنّ هذه الخيرات نفسها ليست إلاّ وسائل يستعملونها من أجل الوصول إلى الغاية الحقيقية وهي الله.

يرى أوغسطين أنّ المدينة الأرضية ليست خالدة بل هي مدينة الأشرار، وهي في خلاف مع الإله ومبادئه، وتسعى إلى إخضاع الغير لشهواتها ورغباتها وميولها، وهي مدينة الشيطان وسكانها بمثابة المياه المرّة وفيها بدأ الصراع بين الخير والشرّ، فالشرّ في الوجود ليس جوهرا دائما وإنّما هو عدم الخير الذي لا يمكن أن يتحقق إلاّ من خلال المسيحية التي تدفع النّاس إلى التغلب على الشرّ وتقودهم إلى حقيقة الوجود وغايته.

[1]- أوغسطين: نفس المصدر، ص 108/ 109.

كما يؤكد أوغسطين أنّ طبيعة الله هي ثابتة ولا تزول، وأنّ الكائنات المخلوقة من العدم قابلة للزوال على أنّها تكثر من عمل الخير بقدر ما هي فعّالة، ولكن بما أنّها ذاهبة إلى الزّوال فهي تعمل الشرّ وعللها ناقصة إلى الزوال، إذ أنّ السّقوط في الشرّ يجعل طبيعة الفرد شريرة، والشرّ هو الانحراف إلى ما يخالف نضام الطبائع في التخلي عن الكائن الأسمى إلى الكائن الأسفل.

ثانيا: أصل وجود الخير والشرّ عند أوغسطين

يُعتبر الخالق عند أوغسطين هو مصدر كل عدل وهناء وسعادة، وهو الذي خلق العالم من حيث الوجود فيقول أنّ الوجود ضروريٌ، من هنا يصف كيفية الخلق بأنّه أولاً راجع إلى خيرة الله ثم إلى إرادته ثم عقله ،حيث يقول:"وحده الله الخيّر البسيط واللامتغير، إنّه خالق سائر الخيور غير البسيطة والقابلة للتغير. وأقول إنّه خلقها وصنعها ولم تأت من آخر، لأنّ ما يلده الخير البسيط مثله وذو كيان مشابه له."[1] ،فالعالم وُجد لأنّ الله خيرٌ والخير لا يخلق إلا الخير والوجود خير من العدم[2]، ومادام الله خير فهو الذي يجازي كل إنسان على أعماله ولا يحتقر القلب المتواضع، فهو الرّب الذي لا يخطأ ولا تجرّه الخطيئة إلى ما هو شرّ، أمّا النّاس فهم يحاولون نقض هذا التعليم الخلاصي، حيث يدعون إلى الله ما هو شرّ ثم يقومون بإلقاء اللوم على خالق السماء وينفون عن الإنسان تلك الأخطاء والشرور التي يقوم بها، يقول أوغسطين في اعترافاته لسيده وخالقه العظيم:" تحنّن عليّا يا ربّ و تعهدني بعنايتك لأنّني خطئت قدّامك، أجل أقول هذا لا لكي نسيء استخدام عفوك ونستهل الشرّ بل لكي كلمة المعلم"[3].

[1] – أوغسطين: مدينة الله، ترجمة يوحنا الحلو،مصدر سابق، ج2، ص19.

[2] – عبد الرحمن بدوي: فلسفة العصور الوسطى،ط3،(لبنان،بيروت، وكالة المطبوعات دار القلم) 1983ص35.

[3] – أوغسطين:الاعترافات، مصدر سابق ،ص 199.

فهو يؤكد على أنّ أسباب وقوعه في الشرور هو ابتعاده عن ربّه الذي وحده يجنّبه الوقوع في الخطايا التي من شأنها أن تنسيه وتبعده عن طريق الخير وتسوقه إلى طريق الشرّ. لقد شعر أوغسطين بأنّ نفسه ممزقة بين إرادة الخير وإرادة الشرّ وبين مطالب روح الجسد، ويصف حاله بقوله:"كنت أنا من يريد ومن لا يريد، وهذا العذاب الذي انتزعني من ذاتي، هذا التمزق بين الإرادة والقدرة لم يكن ناجما عن طبيعة أجنبية عنّي، بل كان ناتجا عن الألم المتوارد من طبيعتي التي كانت فريسة للخطيئة"[1]، وانطلق من مسلمته الدّينية وهي أنّ الله كلي القدرة والمعرفة، وهو غير خاضع لأي نوع من أنواع الضرورات، فقد خلق الطبيعة فهو بذلك له القدرة على تغيرها وهو يعلم الغيب ويعلم بما كان مسبقا، أي هو القادر على تسيير المدينة الأرضية في ظل حكمته، فالعالم يتمركز حول محوريين وهما الحادث (المخلوق) والله (الخالق)، ومن صفاته أنّه أَبَدي وهو خالق الزمان والمكان ولا أحد يمكنه أن يشاركه في صفاته، ويمثل العناية الإلهية في الوجود أو في المدينة الأرضية، فهو الذي يتولى شؤونها ويحكمها وفق إرادته ولا يمكن الاعتقاد بأن الله قد ترك البشر يعيشون في الأرض (الممالك) خارج عنايته، ومن هنا انبثقت نظرية أوغسطين حول خلق العالم والوجود البشري فيه، فالعالم عبارة عن انسجام ونظام بين أجزائه ومكوناته لأنّ الله رتّب الموجودات وفق إرادته وعنايته.

يرفض أوغسطين القول بالعبثية والصدفة في العالم، لأنّ كل شيء مقدر من الخالق ومن قبل عنايته، فالإرادة الإلهية لا تتقيد بالقوانين الطبيعية، ومن خلال نظرة القدّيس للعالم فإنّه يؤكد أنّ الله أوجد الكون وأنزل إليه الإنسان لحكمة في ذلك، فإذا كان الله قادر وعادل وبذلك فهو خير ويتصف بكل صفات الكمال، فلماذا تسمح عنايته بوجود الشر والخطيئة فيما يملك وفي العالم الذي خلقه بإرادته .

[1]- عبد الرحمن بدوي:موسوعة الفلاسفة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، لبنان، بيروت، ط1،ج1، 1984، ص58.

يجيب أوغسطين بأن إرادة الله قد سمحت للشيطان بأن يسبب أنواع الغوايات للإنسان لكي يستطيع الإنسان الإستفادة منها، "وإذا كان الله يعرّضنا لبؤس فهو إمّا لإظهار كمالنا وإمّا لتصحيح نقائصنا ، وفي مقابل ما تحمّلنا بصبر من آلام الزمن فإنّه يدّخر لنا ثوابا أبديا ...فالفرج الأكبر أينما كان يتقدّمه بلاء أعظم .....

ولذلك فإنّ الموت الذي يكون خاتمة حياة نذرت للخير،لا يمكن أن يعدّ شرّا "[1] ، لقد ذهب أوغسطين إلى القول بأنّ الشرّ دخل العالم بمعصية آدم بارتكابه الخطيئة، وبنزوله إلى الأرض، كما أن في الإنسان نزعتين نزعة حب الذّات إلى غاية الاستهانة بالله، ونزعة حب الله إلى غاية الاستهانة بالذّات، لذا وجدت مدينتان وقسّمت البشرية إلى قسمين أحدهما يجاهد في سبيل الأخلاق والخير، والقسم الثاني يعمل على نشر الظلم والشرّ وارتكاب الخطايا ضد الله، وأصلُ هذا هي الخطيئة الأولى التي انتقلت بالوراثة إلى أبنائه، وتنصّ فكرة الخطيئة على أنّ آدم قد ارتكبها وعصى ربّه، فالله خلق آدم وحوّاء في الجنّة وأمرهما بأن يأكلا من جميع شجر الجنّة إلاّ شجرة معرفة الخير والشرّ فلا يأكلا منها، إلاّ أنّ الشيطان أقنع حوّاء بأن يأكلا منها وبدورها أقنعت آدم فأكلا منها، وبذلك فقد عصيا ربهما وارتكبا الخطيئة الأولى التي امتدت إلى البشرية جمعاء، حيث يقول "بولس": " من أجل ذلك كأنّما بلسان واحد دخلت الخطيئة إلى العالم، وبالخطيئة اجتاز الموت إلى جميع النّاس إذا أخطأ الجميع "[2]، إنّ الخلاص من هذه الخطيئة لا يكون إلاّ بدم إله، لأنّه دم طاهر لذا أرسل الرّب ابنه الوحيد في جسد مريم العذراء فحملته ثم ولدته بجسد إنسان ذا لحم ودم ولكنه في الحقيقة إله تجسد في صورة إنسان (ثنائية اللاهوت والناسوت).

[1] – هاشم يحي الملاح: مرجع سابق، ص95.

[2] – محمد مجدي مرجان: مرجع، ص 111.

بما أنّ العلاقة بين الأقانيم الثلاثة الله، الابن، و روح القدس، هي علاقة محبة واتحاد في الجوهر وهذا يعني أنّ من صفات الله المحبة (الله محبة)، وحبّه يظهر في تدبيره طريق الخلاص للعالم ولسكانه بعد أن زادت خطايا البشر ابتداءا من خطيئة آدم الأولى ثم خطيئة ابنيه "هابيل" و "قابيل" القتل وهي من أكبر الآثام والشرور التي ارتكبها الإنسان في الأرض ومنها انتشرت الخطايا إلى كافة البشر، ويقول أوغسطين:" أنّ الكبرياء هو أصل كلّ خطيئة"[1].

إلّا أنّ الله ومن فرط محبته وفيض نعمته أراد أن يقرب إليه عباده بعد هذا الابتعاد فأرسل يسوع في صورة إنسان ليخلص العالم، وهذا ما جاء في إنجيل لوقا:"وأن ابن الإنسان قد جاء لكي يطلب، و يخلص ما قد هلك، فبمحبته ورحمته قد صنع طريقا للخلاص."[2] ولهذا كان المسيح هو الذي يكفر عن خطايا العالم وهو الوسيط الذي وفّق بين محبة الله تعالى وبين رحمته وعدله وبما أنّ المسيحية محبة الله الذي لا يمكن أن يكون إلاّ محبا ليكون سعيدا، فالمحبة هي مصدر سعادة الله .

ومن صفات المحبة أن تفيض وتنتشر على الأشخاص فحب الله لابنه والابن لأبيه أوجدت روح القدس من هذا الحب الذي يجعل الله ثالوثا واحدا معا، وهي التي أدت إلى عفو الله عن عباده بإرسال المسيح المخلِّص لعباده من آثامهم، فالله من جانبه قد أحب الإنسان محبة أبدية لا تدرك، إذ حبّ الله عند المسيحيين هو ما وراء الصلب وموت عيسى وعلامة حبّه هي الصليب، فالله أحبّ عباده بحيث أرسل عيسى وجعله يعاني ويموت حتى يخلّص المسيحيين من أخطائهم وشرورهم.[3] يرى أوغسطين أنّ مصدر الشر في الأرض ليس الله لأنّه منزه عن فعل ما يخالف طبيعته العادلة ومحبته لعباده، لأنّه من المستحيل أن يصنع الشرّ.

---

[1] – أوغسطين:مدينة الله، نفس المصدر،ج2،ص66.

[2] – محمد أبو زهرة: نفس المرجع، ص180.

[3] – أحمد شلبي: المسيحية، مكتبة النهضة المصرية، مصر القاهرة، ط10،1998،ص109.

إنّ الصراع بين الخير والشر في مجتمعين، مجتمع دنيوي ومجتمع ديني والشرور التي حلّت في الأرض وظهرت منذ أن عصى آدم ربه وهبط إلى الأرض نشأت عن الغرائز الموجودة في الإنسان والمتمثلة في الخير والشرّ والتي يغلب فيها الأول على الثاني، لقد اقترن وجود الشرّ في الأرض بمعصية آدم فتفرق الناس طوائف، كل يسعى لخير ما، ومادام في الإنسان محبتان فهناك إذا مدينتان ترجع إليهما سائر المجتمعات، فالمدينة الأرضية ليست خيّرة بالطبع، ولا المدينة الأرضية شريرة بالطبع، فالحياة كما يرى أوغسطين تحتوي على الخير والشرّ منذ نزول آدم، وبداية التاريخ الأرضي الذي يشمل المدينتان ، فأصل وجود الخير فهو الله .

وأمّا أصل وجود الشر فيمثله الشيطان الذي أخرج آدم من الجنّة، فمعصيته التي أدّت إلى مخالفة المشروع الإلهي في الخلق الذي اقتضى من خلاله أن يعيش البشر كلهم في المدينة وبذلك أصبح الإنسان غير جدير بهذا الشرف الإلهي إلاّ الخيّرين من بني جنسه، فالشرّ في الأرض ارتبط بالتاريخ البشري فيها كما ارتبط بالخطيئة الدنيوية الأولى وهي قتل هابيل أخاه ولقد جاء في الكتاب المقدّس أنّ الشرّ انتشر بين النّاس لأنّهم لمّا عرفوا الله لم يمجّدوه أو يشكروه كإله...وأبدلوا مجده الذي لا يفنى بشبه صورة الإنسان الذي يفنى...لذلك أسلمهم الله أيضا في شهوات قلوبهم إلى النجاسة لإهانة أجسادهم من ذواتهم، وكما لم يتحسّنوا أن يُبقوا الله في معرفتهم أسلمهم الله إلى ذهن مرفوض ليفعلوا مالا يليق"[1]، إنّ وجود الشر في العالم ليس دليل على عدم قدرة الخالق الذي أوجد هذا الكون، بل رضي بوجوده لغاية وحكمة، فالله كامل ومسؤول عن كل ما خلق، إلّا أنّه لم يخلق الشرّ، إلاّ أنّه لابد منه ولا يمكن تجنبه[2].

[1] – محمد عبد الرحمن عوض: الخلاص من الخطيئة في مفهوم اليهودية والمسيحية والإسلام، دار البشير لطباعة والنشر والتوزيع، مصر، القاهرة، ص56.

[2] – علي زيغور: أوغسطنيوس، مرجع سابق ، ص145.

يؤكد أوغسطين أنّ الله سيد العالم والخلائق وهو سلطان مطلق على الجميع فالإنسان الذي يفعل الشرّ يبتعد عنه الخالق لأنّه مصدر الفضائل وكل الخير. إنّ المؤمنين الحقيقيين ولدوا مرة ثانية من اللّه، وحصلوا منه على طبيعة روحية تكره الخطيئة وتمقتها، لذلك فإنّ فكرة جواز سلوكهم في حياة الشرّ هي التي تقودهم إلى الخطيئة، والنعمة التي خلصتهم تعلّمهم أن ينكروا الفجور والشهوات العالمية وأن يعيشوا بالتعقل والبرّ والتقوى في العالم الحاضر، زد على ذلك فإنّ الطبيعة الروحية التي حصل عليها هؤلاء المؤمنون من اللّه من شأنها أن تقودهم للقيام بالأعمال الصالحة بكثرة ووفرة، وإذا قصّروا مرة في شيء من هذه الأعمال فإنهم لا يشعرون براحة أو سلام في نفوسهم.

ولذلك يحاولون القيام بالأعمال المذكورة بكل ما لديهم من قوة لكي يريحوا ضمائرهم، وقبل كل شيء لكي يمجّدوا اللّه الذي أحبهم وأكرمهم، وقد أشار يسوع إلى أنّ المؤمنين الحقيقيين طبعوا على القيام بالأعمال الصالحة، فقال عن نفسه وعنهم معاً مخلوقين (مرة ثانية) في المسيح يسوع لأعمال صالحة، قد سبق اللّه فأعدها لكي نسلك فيها، إنّ اللّه يستخدم كل الوسائل لهداية هؤلاء المؤمنين وإعادتهم إليه، وذلك عن طريق الوعظ والإرشاد أو عن طريق تجارب الحياة المتنوعة، لأنّ هذا المؤمن هو من أولاده الذين ولدهم مرة ثانية وتعهّد المسيح برعايتهم والعناية بهم إلى نهاية الحياة، أمّا إذا استمر كل مؤمن حقيقي في عمل الخطيئة، فإنّ اللّه يؤدّبه حتى يعود إلى رشده ويقلع عن خطيئته.

إنّ الأصل الأول لوجود الخير في فلسفة أوغسطين هو الله الذي خلق الكون، ولأنّ طبيعته خيّرة وهو الكامل العادل والذي لا يصدر منه إلاّ ما هو خير، فكل ما هو خير فهو من الله، أمّا الشرّ فأصله وجوده الأول هو الشيطان الذي تسبب في خطيئة آدم، وبعد نزول آدم إلى الأرض استمر أبنائه في ارتكاب الخطايا والشرور وأصبح الإنسان يسعى وراء الشرّ الذي يؤكد أوغسطين في كتابه الاعترافات أنّ مصادر الشرّ بعد الخطيئة الأولى في العالم هي: شهوة السلطة، شهوة العين، شهوة الحس[1]، فإذا ما وقع في هذه الثلاث فقد خالف شريعة الله، لأنّ الإنسان الذي يقع بفعل الشرّ يثأر الله منه، فالله وحده مصدر الخيرات والفضائل وهو ليس مصدر الشرور التي اختارها الإنسان وسعى إليها بإرادته بل جاءت من العدم، وإن سمح الرّب بوقوعها فهي لغاية في الحياة الدنيوية وليس لعدم قدرته على منع وقوعها في ملكه.

شغلت مشكلة الشرّ أوغسطين قبل اعتناقه المسيحية فبحث عليها عند فلاسفة اليونان ثم في المانوية التي لم يجد فيها الحقيقة التي كان يسعى إليها، إلى أن توصّل إلى أساس الفلسفة وهو أنّ الشرّ كلّه يولد الحرمان وأنّ الخطيئة في الإنسان تقوم على قلة إخلاصه لرّبه وعدم قدرته على الالتفات إلى ما في الوجود الأرضي من خير والى الخلق الشخصي والحب الاجتماعي[2] الذي يريده الله،كما أضاف أوغسطين أنّ الخطيئة وإن كانت وصمة مخزية في الفرد فإنّ العالم يتزين بالمؤمنين وبأصحاب الخطيئة الذين جعل الله لهم غوايات الشيطان مصدرا وأصلا لأفعالهم.

ثالثاً: صور الخير والشرّ وغايتهما عند أوغسطين

إنّ وجود الخير والشرّ في العالم يجعلنا نتساءل عمّا إذا كان لهما صورة واحدة في هذا الوجود، ومن خلالها نحكم على الإنسان بأنه فعل الخير أو اقترف الشرّ، أم لهما عدة صور وأنواع وهي تحدّد طبيعة الأفعال، فإذا كان لوجود الخير والشرّ عدة صور وأنواع فما هي؟ وكيف صنفها أوغسطين ؟

[1] – أوغسطين : الاعترافات، نفس المصدر، ص 52/ 53.

[2] – رأفت غنيمي الشيخ : فلسفة التاريخ، دار الثقافة والنشر والتوزيع، مصر، القاهرة، 1988، ص86.

يصنف أوغسطين صور الخير اعتمادا على رأي "نيرون" عن وجود ثلاثة أنواع من الخير مميزة، فصورته الأولى تتحدد فيما يوفره من الراحة لا الخمول والتأمل والبحث عن الحقيقة، والصورة الثانية للخير هي التي تهتم بتدبير الأمور البشرية، وثالثها جامع بين النشاط والراحة،[1] فأسلوب الحياة الأفضل أن يبلغ الإنسان الخير الأسمى ويصبح سيدا، فالفراغ والانشغال بالأمور اليومية هو تأرجح بين الراحة والعمل، والكثير من النّاس يمكنهم سلوك نوع من تلك الأنواع الثلاثة والانخداع في سعيهم إلى الخير الأسمى الذي فيه سعادتهم.

إنّ أوغسطين يرى أنّ الخير الأسمى هو ما يسعى إليه المؤمنون في الحياة الأرضية وهو محبة الله واتّباع تعاليمه ليحضوا بالثواب وبالحياة الأبدية بعد يوم القيامة، كما توجد خيرات عرضية يسعى إليها لتحقيق خيرات لذّية أو جسدية وهي غير دائمة وقد تتحول إلى شرّ سعى الإنسان إلى تحقيقه حتى وإن خالفته الشريعة والسلطة الإلهية .

أمّا الشرّ عند أوغسطين فهو صورتان أو نوعان: الشر الخلقي والشر الطبيعي وكلاهما لا ينسب إلى الله ولكنه يسمح بوجودهما ليستخرج منه الخير، ومادام الشرّ من العدم، والنقص مبدأ له، وليس يكون مبدأ النقص إلّا في المخلوق، فالشرّ الخلقي أو الخطيئة هو سوء استعمال الحرية والإرادة التي أعطاها الله لعباده فنبذوا الخير الدائم وأقبلوا على خيرات زائلة، كما أنّه يتمثل في الأفعال المذمومة كالذنوب والمعاصي التي تخالف إرادة الله وشريعته وهي ترجع إلى حرية الإنسان التي هي في حد ذاتها خير والشرّ يأتي لمن أساء استخدام هذه الحرية في اختيار أفعاله.

[1] – أوغسطين: مدينة الله، مصدر سابق، ج3 ص109/ 110.

فالشرّ الخلقي حسب أوغسطين هو نتيجة إرادة الإنسان وحريته التامة في صنع أفعاله واختيارها وليست الخطيئة الأولى، ولكنّه نتيجة وعقاب عليها، فالأفعال التي ينتج عنها الشرّ الخلقي هي خطايا يقوم بها العبد لإشباع رغباته وشهواته، وقد تبدو له خيرا إلا أنّها تنقلب شرّا لأنّها تحقق خيرا جسديا حسيا لا يدوم ولا يرجو منه رضى الله ولا الخير الأسمى، ويصفه بأنّه فساد أخلاقي يميز الخيّرين عن الأشرار وذلك في قوله:"...وإنّ أعداء (أشرار) الكنيسة أجمعهم وأن يكونوا هم عماة في ظلال يتيهون في الفساد والشر (الفساد الأخلاقي) والخبث الذي فيه يتخبطون..."[1]. أوغسطين يذكر بعض أوجه الشرّ الأخلاقي في هذا القول،كما أنّ رؤيته للفساد الأخلاقي ترتبت عن مدى حكمه على الأفعال والأشياء .

فالأشياء بحد ذاتها حسنة وخيّرة لأنّ خالقها يتصف بالكمال وهو مصدر كل خير، إلّا الإنسان الذي يسيء استعمال حريته وإرادته يصنع أفعالا تتسم بالشرّ كمرتكب فعل إجرامي أو مخجل ويحكم عليه بأنّه فعل سيء وذلك نتيجة للإرادة التي يكون قد استعملها الإنسان استعمالا غير حسن[2].

فالإرادة علّة الخطيئة، أو الخطيئة عدم محبة الله في إرادتنا[3]، بعكس الخير الذي هو وجود ويتطلب علّة ثبوتية ويوجهنا الله إليه وإرادتنا تقبل هذا التوجيه،كما يرى أنّ كل من يسعى وراء الغنى يسقط في الشر الأخلاقي بقوله:"أمّا الذين يرمون الغنى فيسقطون في التجربة وفي الفخ وفي شهوات كثيرة سفيهة مضرة تغرق النّاس في العطب والهلاك، لأنّ حبّ المال أصل كلّ شرّ وهو الذي رغّب فيه قوم فضلّوا عن الإيمان وطعنوا أنفسهم بأوجاع كثيرة."[4].

---

[1] – أوغسطين: نفس المصدر، ج3، ص90.

[2] – علي زيغور: مرجع سابق، ص175.

[3]– يوسف كرم :الفلسفة الأوروبية في العصر الوسيط ، مرجع سابق، ص444.

[4]– أوغسطين :ج3، ص23.

أمّا الشرّ الطبيعي فهو في الماديات بفساد كيانها أو زواله وهو ليس شرّا بمعنى الكلمة، لأنّ في فساد البعض كون البعض ودخوله في النظام الناتج عن تنوع الكائنات وترتيبها، والشرّ الطبيعي عند أوغسطين هو الذي يحسه الإنسان في ذاته أثر الخطيئة وعقاب عليها[1]، لأنّ الخطيئة تمرد على النظام وأثرها اضطراب في كيان الإنسان، ولأنّه لا يخلو من الفائدة، فالشر الطبيعي قد يحقق غاية في الكون وهي بدورها قد تجلب الخير للإنسان.

إنّ مشكلة الغاية من وجود الخير والشر في الأرض وكيف يمكن أن تحقق السعادة والمنفعة التي يرجوها الإنسان في الحياة الدنيوية، من بين ما حاول أوغسطين تفسيره حيث رأى أنّ الغاية من الخير هي كل ما يسعى إليه الإنسان لتحقيق غاية في المدينة الأرضية والإلهية حيث يقول: " إنّ الغاية من خيرنا هو ما يجب أن يتجنبه بكليته وبحد ذاته، والغاية من الشرّ ما يجب أن يتجنبه بكليته وبحد ذاته، فالخير هو كل ما يصل للكمال ويحققه، أما غاية الشرّ هو كل ما يوصل من الضرر والفساد والأذى."[2] أي ما يريد الإنسان تحقيقه بإرادته وحريته في المدينة الأرضية (الدولة)، فهو إمّا أن تكون غايته تحقيق الخير الأسمى أو الشر الأقصى، لذا وجب البحث عن الخير الأسمى وبلوغه لأنّه يحقق غايات أسمى وهو وحده الطريق الذي يوصل إلى معرفة الله خالق الكون، والذي من مقتضيات حكمته أن تكون أفعاله هادفة لتحقيق الغايات، فالفعل الخالي من الغاية والغرض فعل يوصف بالعبث، والغاية والغرض يحكمهما صلاح أمر عباده وخيرهم.

[1]- يوسف كرم : نفس المرجع، ص445.

[2]- أوغسطين: الاعترافات، ص103

في حين يجب اجتناب الشرّ الأقصى الذي وُجد في المدينة الأرضية وهي مدينة زائلة لأنّها تحكمها الشهوات والغرائز، فالسّعادة هي غاية من غايات الخير الذي يجعل الإنسان سعيدا، لذا وجب على المسيحي أن يوجه أفعاله كلها نحو ذاته دون سواها، فلو وجّهها نحو غير ذاته فلن يعود الخير خيرا أسمى بل خير يشاركه فيه آخر، وهي مشاركة في تقاسم الخير والسّعادة في المدينة الأرضية، ويضيف أوغسطين أن غاية الخير تكمن أيضا في الفضيلة، وغاية الخير الأسمى تتمجد في حبه لله في المدينة الإلهية والتي تمثلها الكنيسة وهي غاية تقود المؤمنين إلى الحياة الأبدية التي ينتظرونها منذ نزول آدم إلى الأرض وهي خاتمة لأفعال الإنسان الخيّرة وجزاؤها صعوده إلى ربّه في المدينة السّماوية.

أمّا غاية الشرّ الأقصى الذي سعى إليه مواطنو المدينة الزائلة لإشباع رغباتهم وتحقيقها بمخالفة الشريعة فهي الموت، لأنّ كل من فاخر بالشر كان يطمح إلى حياة اللذّة والشهوة في الدولة وهي تلك المدينة الزائلة الزائفة، فقد وضع سكانها الأشرار غاية خيرهم في الجسد أو في الروح أو معا[1].

وعليه فمسألة غايات الخير والشرّ ترتبط بما يريد الإنسان تحقيقه في الحياة المدنية فإنّ تغلبت عليه نزعته في حب الذّات واحتقار الله وارتكاب الآثام والأفعال الشريرة التي تقوده إلى الخطيئة كانت غاية أفعاله الموت، أمذا إذا تغلبت عليه نزعة حبه لله واحتقار ذاته، فغايته تحقيق السعادة والحياة الأبدية يوم يُبعث المسيح ليرفع المؤمنين الذين سعوا إلى الخير الأسمى إلى ربهم وعودتهم إلى الجنة.

[1] – نفس المصدر، ص 109.

المبحث الثالث: أثر وجود الخير والشرّ في المجتمع المدني

عُـرِف العصـر الوسـيط بعصـر الظّلمـات، نظـرا لسـيطرة الكنيسـة علـى كـل مجـالات الحيـاة الفكريـة والسياسـية، حيـث تمتـع رجـال الـدين (البابـاوات) بكامـل حريـة الـتحكم في السـلطة السياسـية(الدولـة) ، انطلاقـا مـن فكـرة أنّ الإلـه هـو خـالق الكـون وهـو الوحيـد القـادر علـى حكـم مـا يملـك، وبمـا أنّ الكنيسـة هـي الواسـطة بـين الله والشـعب، فالبابـا لـه الحـق أن يحكـم الدولـة لأنّـه مفـوض مـن الله بتـدبير شـؤون الـدين والسياسـة معـا، وهـذه السـيطرة مـن طـرف الكنيسـة أدّت إلى ظهـور صـراع بـين السـلطة الروحيـة والمتمثلـة في الكنيسـة، والسـلطة الزمنيـة الـتي تمثلهـا الدولـة، وهـذا الصـراع أدى إلى ظهـور فكـر سياسـي مبـني علـى أسـس لاهوتيـة، وكـان أوغسـطين أحـد أهـم رجـال اللاهـوت الـذين جمعـوا بـين السـلطتين الزمنيـة والمكانيـة وفـق مـنهج عقلـي للوصـول إلى تحديـد العلاقـة بينهمـا مـن خـلال نظريـة السّـيفان، فكـان مؤلَّفـه "مدينـة الله" صـورة عـن فكـره السياسـي الـديني المسـتمد مـن الأناجيـل والفكـر الفلسـفي اليونـاني، وجـاء بـه لتفسـير الظـروف السياسـية والدينيـة الـتي أدّت إلى سـقوط رومـا، ومـن خـلال مفهومـه للدّولـة ونشـأتها وصـراع الخـير والشـرّ فيهـا، إنّ المدينـة الأرضـية عنـد أوغسـطين تمثـل الدولـة الـتي تظـم الخـير والشـرّ وهمـا في صـراع دائـم، وهـي تنشـأ عـن الغرائـز الموجـودة الطبيعيـة الإنسـانية المشـتملة علـى الخـير والشـرّ والـتي يجـب أن يتغلـب فيهـا الأول عـن الثـاني، ومـن ثمـة فـإنّ وجـود الدولـة ضـروري لحيـاة النّـاس واسـتقرارهم وهـو لـيس وجـود عرضـي[1]، والدولـة عنـد أوغسـطين نشـأت عـن إرادة إلهيـة ووفقـا لعنايتـه وحكمتـه، والمواطنـون فيهـا تـربطهم علاقـات اجتماعيـة ونظـم سياسـية وهـي تسـعى وراء المحسوسـات والماديـات الـتي تحقـق لهـا السـعادة الدنيويـة وتلـبي شـهواتها وغرائزهـا، وهـي مليئة بالشرور نتيجة الحروب والصراعات والظلم.

[1] – إسماعيل زروخي، دراسات في الفلسفة السياسية ، دار الفجر،لنشر والتوزيع، مصر، القاهرة، ط1، ص167.

أمّا الحب الذي يجمع بين مواطنيها ليس حب صادق، لأنّها دولة للأشرار والشياطين وهي في خلاف دائم مع الله مع مدينة الله. تميزت نظرية أوغسطين السياسية بكونها صورة للأخلاق المسيحية التي يدعوا إليها، ويرجع سبب تباين المدينتان إلى وجود صراع بين الخير والشر، وهذا بدوره أدّى إلى صراع المدينتين، وبذلك وجدت سلطتين لكل منهما مجالها واختصاصها، ونظريته كانت تدعوا إلى الفصل بين السلطة الروحية والمتمثلة في الكنيسة التي تغفر الذنوب وتحدد الطقوس وتشرف على أمور الدين[1]، ولها الحق في السيطرة على المسائل الروحية والمسيحيين ملزمين بطاعتها بما فيهم الحاكم، والكنيسة بدورها تخضع لقانون الدولة وهي سلطة سياسية تهتم بشؤون الحياة الدنيوية كالسلام، وانطلاقا من تمايز السلطتين وجب التعاون بينهما لتحقيق التعايش بين مواطنيها وبذلك يتغلب الخير على الشرّ دون تدخل سلطة في أخرى، فيؤدي التعاون بينهما إلى تنظيم المجتمع وتكريس العدالة والحرية وتحقيق مصالح المواطنين في الحياة الدنيوية والأبدية، وهذا ما دعا إليه المسيح في قوله:"سأعطي ما لقيصر لقيصر، وما لله لله" فحين يطلب قيصر ماله يعطيه المسيح إياه والعكس، وبذلك ينتج السلام. يقول أوغسطين: "السلام في المجتمع يتحقق بواسطة التعاون والخضوع لسلطة منظمة."[2] فالدولة وسيلة لتحقيق السعادة والخير على الأرض ثم في الحياة الأبدية، فالمدينتان تتعايشان معا وفق القانون الوضعي والإلهي، وعلى الرغم من اختلاف مبدأ كل منها إلاّ أنّهما تلتقيان فتنتفع المدينة السماوية من خيرات المدينة الأرضية ويتشاركان إلاّ أن خيور الأولى هي وسائل لكسب العيش والمحافظة على الفرد والنوع ولتحقيق الخير الأسمى الذي هو السعادة الممزوجة بالفضيلة.

[1] – بطرس بطرس غالي ومحمود خيري عيسى: المدخل في علم السياسة، مطابع الأهرام التجارية المكتبة الأنجلو مصرية، مصر، القاهرة، ط5، 1976، ص103.

[2] – أوغسطين:مدينة الله،ج3،ص131.

أولاً: الفضيلة والسّعادة :

الفضيلة هي ذلك الخلق الطّيب الذي يعتاد الفرد عليه كالقيام بالأشياء والأفعال الطّيبة، والإنسان الفاضل هو ذو الخلق الطّيب الذي اعتاد أن يعمل وفق ما تأمر به الأخلاق، فالفضيلة صفة تطلق على كل عمل أخلاقي يستحق عليه فاعله الثناء والثواب ويحقق له السعادة في الحياة الدنيوية والسّماوية، ولقد وحّد أوغسطين بين السعادة والحكمة، فالسعادة هي تلك اللذّة التي لا لذّة بعدها وهي تشبع كل لذّة في مدينة الله تقام من أجل سعادتنا والهدف منها سعادة الإنسان[1]، فالسّعادة تستلزم الفضيلة وتحويها كما أنّ الرغبة في السعادة هي غريزة فطرية مستقرة في أعماق الذاكرة، والرغبة في الله هي الوحيدة المؤدية للسعادة، وكل من لا يملك الحقيقة لا ينال السّعادة فالحكمة تتضمن السّعادة، والسّعادة تتضمن معرفة الإنسان لرّبه وهي ذلك الخير الروحي الذي لا تهدّمه جميع الخيرات المادية، ولا تكتمل إلاّ إذا قامت على العدالة، والناس جميعا يرغبون فيها لأنها امتلكت ما هو خير الأشياء، وما عدا ذلك فهو دون الله.

إنّ السّعادة عند أوغسطين مرتبطة بالحقيقة، وهي مستقلّة عن المعرفة وهي التي تُولد من الحقيقة، وتصوره عن السّعادة .كان بناءا على ما قرأه في الفلسفة اليونانية من مُثل محاورة "أوديم" "لأفلاطون" ونظريته حول السّعادة، والرواقيون الذين نادوا بالفضيلة كأساس للسعادة، والأبيقوريين الذين يرون أنّ السّعادة في اللّذة الحسية والتي يرفضها أوغسطين بقوله:" إنّ من الجنون أن نبحث عن السعادة السامية في الشهوة"[2].

[1] – نفس المصدر، ج2، ص455.

2- نفس المصدر، ج2، ص 461.

يؤكّد أوغسطين على أنّ الخير الكامل يكمن في أن تتجه النّفس نحو الطبيعة العليا، تُنير بنورها هذه النّفس وتمنحها السّعادة، فالإنسان إذا تعمق في رغبته في السّعادة والخير الأسمى الكائن في النّفس التي لا يوجد أفضل منها سوى خالقها، فالنّفس أفضل من كل لذّة وشهوة، وكمالها لا يكون في ذاتها كما لا توجد فضيلة فيها لأنّها موجودة خارج عنها، فالإنسان يحيا حياة الجسد، وحياة الروح، وباتباع النفس المرتبطة بالله تصبح فاضلة، وتصبح سعيدة ببلوغ معرفة الله الذي تلتقيان فيه، لأنّ الحب (محبة الله) هو صميم السّعادة والفضيلة عند أوغسطين، وهو مصدر كل تصرفات الإنسان وغايته التي تُفضي إلى طمأنينة النّفس، ولا سبيل إلى ذلك إلاّ معرفة الإنسان لنفسه بنفسه، فالنّفس إذا عرفت نفسها عرفت لمن ينبغي عليها أن تطيع، وفوق من يجب عليها أن تسيطر[1]، فالإنسان مؤلف من جسد وروح، ولاشك أن الروح أسمى من الجسد، لأنّ الرّوح هي التي تعطي الجسد الحياة والحركة، ومنه فهي تتعلق بالرّوح لا بالجسد.

لقد تميزت نظرية أوغسطين السياسية هي الأخرى بطابع الفضيلة وكون أنّ الإنسان ذو طبيعة اجتماعية مزودة بالكلام الذي من خلاله يستطيع أن يتواصل،كما أنّ الفضيلة التي تصف المواطن من حيث أنّه مواطن ومن خلال أفعاله التي تكون في صالح المدينة العام وهي تحقق الخير العام والأسمى للمواطنين.

[1] – عبد الرحمن بدوي: موسوعة الفلسفة، المؤسسة العربية للدراسة والنشر، لبنان، بيروت، ط1،ج1، 1984،ص250.

ثانياً: الجزاء والمسؤولية:

يؤكد أوغسطين في مؤلفاته على فكرة الجزاء استنادا إلى ما تؤكد علية الأناجيل فالسّيد المسيح ورسل المسيحيين بعده يُعدّون الثواب للأبرار، ويتوعّدون الأشرار بالعقوبة، حيث يقول "بولس" في رسالته إلى العبرانيين:".... لكنّنا قد تيقنّا من جهتكم أيها الأحباء أمورا أفضل ومختصّة بالخلاص وإن كنّا نتكلم هكذا لأنّ الله ليس بظالم حتى ينسى عملكم وتعب المحبة التي أظهرتموها نحو اسمه إذ قد خدمتم القدّيسين وتخدمونهما" [1]، يؤكد "بولس" في رسالته على أنّ الرّب لن ينسى أعمال عباده، ويَعد المؤمنين الذين تمسكوا بمحبة الله بالخلاص، كما ينفي صفة الظلم عن الله، فمن عمل خيرا فسيلقى ثواب عمله يوم البعث.

فالإنسان الصالح سيلقى ثواب فضيلته وتمسكه بالخير، والشرير سيلقى جزاءه على عصيان الله، يقول أوغسطين:"إن الخير والشرّ يمكن أن يكونا على السواء من نصيب الصالحين والأشرار، ولكن المهم لا يكمن في تلقي الخير والشرّ بل في كيفية استعمال هذا وذاك"[2]، فالمؤمنون الصالحون وهم مواطنو المدينة الإلهية الذين اختاروا الخير الأسمى وجزاؤهم سيكون الحياة الأبدية الخالدة التي تُخلصهم من الاضطهاد وشرور المدينة الآثمة، كما وعدهم المسيح لـمّا طلب منهم الصبر، وهذا ما وعد به "بولس" في رسالته إلى أهل أفسس في قوله: "كما وضع للنّاس أن يموتوا، مرة ثم بعد ذلك الدينونة."[3] ،وبأن يتمسكوا بالخير والفضيلة ولا يتبعوا الشرّ، فيوم يُبعث السيد المسيح وهو من سيخلصهم من الخطيئة الأولى، فمن اختار اتّباع تعاليمه فسيثاب بتخليصه من الخطيئة الأولى، وأمّا من اختار اتباع شهواته ورغباته في الحياة الدنيوية وخالف الله بمحض إرادته، فسيلقى جزاءه بالموت مع زوال المدينة الآثمة.

---

[1] – رسالة بولس إلى العبرانيين، الإصحاح 5/9-10.

[2] – أوغسطين :مدينة الله،ج1،ص8.

[3] – رسالة بولس إلى أهل أفسس: الاصحاح26/9.

وقد حذّر بولس من ذلك بقوله:"فأميتوا أعضاءكم التي على أرض الزّنا، النجاسة، الهوى، الشهوة، الرذيلة، الطمع الذي هو عبادة الأوثان، الأمور التي من أجلها يأتي غضب الله على أبناءه العصاة"[1] ،وذلك لأنّهم اختاروا الشرّ ومعاقبته تكون في السلطة الزمنية (الدولة) أولاً ثم في السلطة الروحية أين يحضى بالعقاب الأبدي، يفسر أوغسطين حرية الأفراد ومسؤوليتهم انطلاقا من فكرة الخطيئة حيث يُطلَق الإنسان لشهوته ورغبته في السيطرة على غيره، وهي حالة تمرد ضد الله منذ الخطيئة الأولى ثّم ما تلاها من آثام أبنائه التي انتقلت لهم بشكل ما، والحرية ما هي إلّا نتيجة عليها، فحرية الإنسان التي يتمتع بها في السعي إلى الخير أنتجت الظلم أو الإكراه(الشر) ، فإن آمن وصنع خيرا يثاب، وإن صنع شرا ولم يؤمن يعاقب، ويتجلى ذلك في مؤسسات المجتمع المدني الأكثر نمطية مثل الملكية الخاصة، فوجود المجتمع المدني عقاب لحالة الإنسان الذي وقع في الشرور، وهو أيضا وسيلة لردع الرغبات الشهوانية لمواطنيه التي تقودهم إلى فعل الشرّ وذلك عن طريق قوة القانون الطبيعي والوضعي، وانطلاقا من وجود طائفتين من النّاس المتمايزتين فهذا يعني أنّهم لن يلقوا نفس الجزاء، ولهذا وجدت مدينتان، سيكون فئة من النّاس وهم المؤمنون الذين اختاروا طريق الخلاص، وفئة اختارت المدينة الأرضية وشرورها، وقد فسّر أوغسطين الجزاء والمسؤولية في نظريته بالحرية والقدر، فالإنسان حر وهو مسؤول لأنّه حرٌّ، فيسوع دعا النّاس إلى الإيمان ولم يجبرهم، فكانوا أحرارا في الاستجابة أو عدمها، والله هو الذي دعاهم إلى عبادته وترك لهم الإرادة وحرية اختيار طريق الخير أو الشرّ، فقد أنار الله لهم طريق الهداية للوصول إليه، فَفِعلُ الخير أو فعلُ الشر يكون بإرادتهم وحريتهم، وعليه فالمسؤولية نتيجة لهما، لكن الله بفضل عنايته وطبيعته الخيّرة وفضله الإلهي الذي طالما أكّده أوغسطين في حصوله عليه شرط ضروري لنجاته، ولا ينالها لمجرد أعماله، وإلّا لما كان فاضلا ولطفا إلهيا بل جزاء[2].

---

[1] – رسالة بولس الرسول إلى أهل كولوسي: الإصحاح 3/5-6.

2 – نفس المرجع، ص 251.

إنّ اللّطف الإلهي يسبق الأعمال والجزاء عنها، ولهذا فهو ثمرة اصطفاء إلهي، لا ثمرة أعمال إنسانية[1] ويقرّ أوغسطين أنّ الله يعرف كل شيء قبل أن يوجد، وأنّ النّاس يفعلون بإرادتهم الحرة ما يعرفونه ويشعرون أنّه يجب عليهم أن يفعلوه لرغبتهم فيه .إنّ الله خالق الإرادة ويضفي على كل فعل قدرته إلاّ أنّه لا يتدخل في اختيارات عباده فمن كانت إرادته خيّرة وآمن كان من أصحاب المدينة السّماوية، وأمّا من كانت إرادته شريرة ولم يؤمن فعقوبته الموت.

ثالثًا: القانون والعدالة وأثرهما في المجتمع المدني

1/ القانون عند أوغسطين: إنّ تعايش المدينة السّماوية مع المدينة الأرضية رغم الاختلاف الكائن بينهما وسعيها إلى نيل الخير الأسمى واستفادتها من الخيرات الدنيوية والتي يشاركها فيه سكان المدينة الأرضية دون أن يكون لهما نفس الإيمان والغايات، إلّا أنّ امتزاجهما إلى غاية يوم البعث، ومادام المسيحيون جزءا من الدولة ومواطنون فيها فهم يخضعون للقوانين التي تضعها، والنّظام الذي تؤمن به المدينة الأرضية والقانون الدنيوي الذي تطبقه من أجل تحقيق النظام، لذا ميّز أوغسطين بين نوعين من القوانين :

أ- القانون الأزلي(الطبيعي): هو من وضع الله وهو الموجود المطلق الدائم، وسَنّ هذا القانون الأبدي الثابت[2] ليصل الناس إلى الخير الأسمى وهو أساس الحياة الاجتماعية ويعرفه جميع الناس وَوُضع ليكون كحدّ لأفعال الشرّ والآثام وكسلطان يعطي كل ذي حق حقّه، وهو مستوحى من التعاليم الإنجيلية لأنّه منزل من عند الله، ويعبر عن العقل الإلهي والإرادة الإلهية ولذلك فهو القانون اللائم الذي يحاسب الأشرار ويكافئ الأخيار وهو صالح لكل زمان ومكان.

---

[1] - نفس المرجع، ص251.

[2] - علي زيغور : مرجع سابق، ص230.

ب- القانون الوضعي: وهو قانون زمني وضعي، وقد وضع لأجل تسيير أمورهم الدنيوية، ويتفق مع القانون الإلهي، ويعتبر القانون الوضعي نوع من التهذيب لسلوك المواطنون الذين ابتعدوا عن تعاليم المسيحية وانحازوا عن فعل الخير إلى فعل الشرور التي طغت على الدولة بسبب انعدام الفضيلة وانتشار الرذيلة في المجتمع.

إنّ القانون الطبيعي حسب أوغسطين لم يكن ممكنا تطبيقه قبل خطيئة آدم، لأنّ المدينة الإلهية كانت تعيش في سلام ولم تكن هناك أي شرور فيها، لكن بعد الخطيئة ونزول آدم إلى الأرض بدأت الشرور تنتشر فيها بسبب حبّ الذّات وسيطرة الغريزة على مواطني الدولة، لذا لزم وضع قانون من صنع البشر ليحكم ويقمع السلوكيات الغير أخلاقية، فكان أصل القانون الوضعي هو القانون الإلهي، إلّا أنّه لا يعاقب إلاّ على الأفعال الظاهرة ويغضّ النظر على بعض الشرور ليتفادى شرورا أعظم، تاركا لله المعاقبة على مالا يعاقب عليه هو[1] ، وهو قانون متغيّر غير دائم وغير كامل ويميّز بين مدينة وأخرى، والغاية من وضعه أن يكفّ الناس عن الحب المفرط للخيرات الدنيوية والتي تقوده إلى ارتكاب الشرور والآثام، وبذلك ينظّم أفعاله وفقا للخير الذي يدعوا إليه الإنجيل، وهو يهدف إلى سيطرة العدالة وهو يتغير بتغير الزمان والمكان[2]، إلّا أن، المبدأ الذي استخرج منه يبقى ثابت لا يتغير.

يؤكد أوغسطين على أنّ القانون الأزلي يمثل المعيار الأسمى للعدالة، والقانون المؤقت هو الذي يتكيف مع المبادئ العامة للقانون الإلهي ووفقا لحاجات المجتمع والمتغيرات التي تحدث فيه، فالقانون الأزلي هو ينبوع العدالة والعدل، لأنّه صادر عن خالق عادل وخيّر، ومن خلاله يثاب الخير ويعاقب الشرير.

---

[1] – يوسف كرم:تاريخ الفلسفة الوسيطة، مرجع سابق، ص48.

[2] – ليوشتراوس وجوزيف كروبسي:تاريخ الفلسفة السياسية من ثيوكيديس حتى اسبينوزا، ترجمة محمود سيد أحمد،مراجعة وتقديم إمام عبد الفتاح إمام، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، القاهرة، ج1، 2005، ص270.

أمّا القانون المؤقّت ورغم أنه متغير ولكن دون ظلم وهو مفروض من أجل صلاح الدولة، وقد وجد من أجل الأشرار والفاسدين من الناحية الأخلاقية لا الأخيار، إنّه يمثل توافقا بين ما هو مرغوب في ذاته بصورة كبيرة وما هو ممكن في أي لحظة مبيحا شرورا أقل من أجل منع شرور أعظم وأكثر قبحا، وتنشأ فاعليته من تعلق الإنسان بالخيرات الدنيوية،[1] فالنّاس عبيد للخيرات الدنيوية، فيقوم على حرمان الأشخاص الحائرين من الخيرات التي يمتلكونها من قبل، وذلك عقوبة على تجاوزاتهم ،حيث يسعى إلى أن يكف المواطن عن الحب المفرط للخيرات الدنيوية وينظم انفعالاته وعواطفه وفقا لخير العقل الذي يوصل إلى الخير الأسمى، إنّ القانون الوضعي عند أوغسطين هو ضمان للخير الأخلاقي وضابط له .

2/ العدالة عند أوغسطين: إنّ العدالة عند أوغسطين وعلاقتها بوجود الخير والشرّ في الدولة على أساس علاقة الإنسان بالله والذي من صفاته العدل حيث يقول:"يعود القضاء إلى العدل"[2] ، فالعدالة عنده تكمن داخل الفرد بين قوتي الخير والشرّ، ولن تتحقق بتلبية مطالب النّفس خاصة الشهوانية منها، بل ستتحقق في حالة الصلة الطيبة بين الله وعبده، فالعدالة أساسها العودة إلى قانون الله الأول والالتزام به، ومادامت توجد طائفتين من النّاس متمايزتان، واحدة مؤمنة خيرة والأخرى كافرة وتفعل الشرّ، فوجبت العدالة لإعطاء كل ذي حق حقه، وتعاقب كل من أساء الفعل وخرج عن قانون الدولة[3].

[1] – مصطفى النشار: تطور الفلسفة السياسية من صولون حتى ابن خلدون، الدار المصرية للنشر والتوزيع، مصر، القاهرة، 2005، ص110.

[2] – أوغسطين: مدينة الله، ج1،ص9.

[3] – مصطفى النشار: نفس المرجع، ص110.

ولمّا عمّت الرّذيلة في المجتمع وظل الإنسان يستعبد أخاه الإنسان وحلّت الخطيئة بالأرض أصبحت العدالة الملجأ الوحيد للمواطنين، فالحق لايفسر ولا يؤخذ إلاّ عن طريقها، فهي ليست من عمل الانسان الذي وقع في الخطيئة، بل هي نتيجة إرادة الله وعنايته بعباده الصالحين، لقد كان الوحي الإلهي المصدر الأول للسلطة الأخلاقية، وهذا هو التغيير الذي أدخلته المسيحية في مجال الأخلاق والذي دعا إليها القدّيس أوغسطين خاصة، وقد أقيمت الأخلاق الغربية خلال القرون الوسطى وبداية عصر النهضة على المبادئ التي دعا إليها من خلال فكرته حول طبيعة الخير والشرّ، والغاية من وجودهما في الحياة البشرية بعد خطيئة سيدنا آدم، حيث أصبحت الأخلاق الغربية يحكمها القانون الذي جاء من الوحي الدّيني[1]، وهو يمثل إرادة الله، هذه الإرادة الإلهية الخيرة التي نبع منها قانون خيّر يعبر عن حكمة الله ومحبته لعباده الصالحين، إنّ الأخلاق المسيحية أقيمت على أساس الوجدان والدّين في العصور الوسطى، واعتبرت الله هو الذي يحدد الفضيلة ويميز بين الخير والشرّ، كما كان يدعو أوغسطين إلى التمسّك بالفضائل التي لا تطلب لذاتها، ولا من أجل نتائجها النافعة بل تُطلب لأنّها تتماشى مع إرادة الله، إنّ الشهوة تستعبد النّاس، ولا يمكن التخلص منها في الحياة الدنيوية.

كما أصبحت فكرة العقاب والثواب وليدة الفكر الأوغسطيني من خلال نظريته حول الجزاء والعقاب، وفكرته حول المسؤولية الفردية لكل من ارتكب الشرّ أو من اختار فعل الخير وما نتج عنها كمصدر لتشريع في الفكر الغربي ومبدأ للحكم على أفعال النّاس، إلّا أنّه ومع تطور الفكر في عصر النهضة أصبحت الأخلاق المسيحية التي سادت العصور الوسطى تتلاشى وصارت حبيسة جدران الكنيسة فاندثرت حياة الإيمان والزهد[2].

[1] – محمد مهران رشوان: نفس المرجع، ص125.

[2] – نفس المرجع: ص125

الـتي دعـا إليهـا أوغسـطين، ومـع حلـول العصـر الحـديث لم يبـق للأخـلاق الأوغسـطينية الروحيـة مجـال تمـارس فيـه، حيـث سـيطر العقـل علـى كـل منـاحي الحيـاة الأخلاقيـة، خاصـة في عصـر العولمـة الـذي دعـا إلى النزعـة الفرديـة الماديـة مـن خـلال مبـدأ "الغايـة تـبرر الوسـيلة"، فالأخلاق الغربية الحديثة تحكمها العلمانية المادية واللّائكية لا الدين المسيحي.

إنّـه وعلـى الـرغم مـن تملـص الفكـر الأخلاقـي الغـربي مـن تعـاليم المسـيحية وابتعـاده عـن كـل مالـه علاقـة بـالأخلاق، والقـول بـأنّ أسـاس القـوى الحضـارية الغربيـة هـو الابتعـاد عـن الـدّين والأخـلاق الـتي دعـا إليهـا والتحـرّر التـام منهـا، إلاّ أنّ بـذور سـقوط هـذه الحضـارة موجودة فيها بحد ذاتها، فالإفلات والإنحلال الأخلاقي سيقود حتما إلى زوالها.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الخـــاتمة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الخاتمة.

وفي الختام نحمد الله العليّ القدير، ونشكره على حسن التوفيق على إتمام هذه المذكرة، وهذه نتائج وآفاق البحث المستخلصة منه.

لقد قدمنا في بحثنا هذا نموذجا من نماذج الفلسفة الأخلاقية عند المسيحيين في العصور الوسطى، من خلال تناولنا لفكرة "الخير والشرّ" عند أحد أكابر رجال اللاهوت في المسيحية وهو القدّيس أوغسطين، الذي أثرى الفكر المسيحي خاصة بمباديء دينية أخلاقية كانت مرجع للمسيحين على مدى العصور، فكان تفسيره لفكرته عن "الخير والشرّ" ،أصل وجودهما والغاية منهما في الوجود مبنية على أسس دينية كالكتاب المقدس، ورسائل بولس، إضافة إلى مصادر فلسفية، خاصة اليونانية منها.

يعتبر القدّيس أوغسطين مطوّر فكرة الخطيئة الأصلية حسب الإيمان الكاثوليكي، فهو الذي حوّلها من مجرد فكرة إلي نظام له أصوله، فسمي باسمه (النظام الأوغسطيني) ويقابله النظام البيلاجي الذي يرفض توارث الخطيئة.
وحسب النظام الأوغسطيني أخطأ كل البشر بمعصية آدم، ونالهم كل ما نشأ عن تلك المعصية من الويل، وفسدوا في الطبيعة والأفعال، وصاروا يولدون بطبيعة فاسدة عاجزة عن عمل الصلاح.

يرى القديس أوغسطين أن العامل المشترك بين القدّيسين والأشرار هو الرغبة في العيش تحت مظلة الدولة وتختلف أسباب الرغبة، فالقدّيس يرغب في وجود الدولة كي يمارس الطقوس الدّينية في أمان، والأشرار من أجل الاستمتاع بالحياة بعيدا عن الحروب الأهلية التي لا مفر منها في حالة عدم وجود الدولة.

لقد ناقش أوغسطين في كتبه مسألة الخير ومشكلة الشرّ من جميع الأبعاد، إذ لم يترك فكرة غامضة تعلقت بهما إلّا وأبعد الغموض عنها، وألقى الضوء عليها من خلال تقديمه لمفهوم الخير والشر، ومصدر وصور كل منهما فكانت أفكاره بمثابة دعامة وحافز للذين جاؤوا من بعده.

الخاتمة.

إنّ نظرة القديس "للخير والشرّ" أنه أرجع الخير إلى الله وعنايته الرّبانية بعباده، وأنّ الشرّ وقع بسبب الخطيئة الأولى، وانتشر في الأرض بعد ذلك بإرادة البشر في فعله واتّباع شهواتهم، كما أكّد أوغسطين على أنّ الله خَيّر بطبيعته وهو عادل وكامل في صفاته، وهذا لا يعني أنّ وجود الشر في العالم وسيطرته على النّاس فوق قدرة الرّب وإرادته، بل إنّه سمح بوجوده لحكمة وغاية وهي وجود الثواب والعقاب يوم يبعث المسيح المخلص، فمن كانَ خيّر فجزاؤه الصعود إلى الجنّة، ومن اختار الشر فَعِقابه الموت الجسدي والروحي، وبهذا تتحقق عدالة الله في ملكه.

يمكننا القول في النّهاية أنّ أراء القدّيس أوغسطين ساهمت في إقامة فلسفة أخلاقية مسيحية مميزة كغيرها من الفلسفات الأخلاقية الكبرى، واستطاع أن يعالج مشكلة الخير والشرّ وعلاقتهما بأفعال الإنسان جاعلا الخير الأسمى مصدره الله وهو غاية من أراد السّعادة والتّمسك بالفضيلة، ولهذا اعتُبر أوغسطين همزة وصل بين من سبقه من المفكرين والفلاسفة، ومن جاء بعده وتأثر بفكره اللاهوتي، والذي يستحق البحث، لأنّ مسألة الخير ومشكلة الشر في الوجود عند أوغسطين لم ترتبط بالجانب الأخلاقي والدّيني فقط، بل أوغسطين يجدها تتغلغل في كل مناحي الحياة الإنسانية ابتداءا من علاقتهما بالدين والأخلاق، ووصولا إلى علاقتها بالسياسة والمجتمع، انطلاقا من الأسرة ووصولا إلى الدولة.

وفي الأخير نسأل الله تعالى السداد وأن يوفقني ويوفق الجميع لما فيه الخير والبركة، وأسأله تعالى أن يغفر لي ولوالدي ولي جميع المسلمين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد الصادق الأمين وعلى آله وأصحابه الميامين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، والحمد لله رب العالمين.

الفهـــارس

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

* فهرس الفرق والمذاهب.

* فهرس الأعلام.

* فهرس الأماكن والبلدان.

* فهرس المصادر والمراجع.

* فهرس الموضوعات.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الفرق والمذاهب

الأبيقوريين: 20 – 44 -80 .

الأريوسيين : 12.

الآسينية: 58.

الأكادميين: 06.

الدوناتية: 12.

الرّواقيون: 20-45-80.

السوفسطائيون: 22.

العقليون: 18.

الفرّيسية: 58.

اللّأخلاقيون: 20.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الأعلام

(أ)

آدم: 32 -59-60-64-69-70-71-73-77-85-87-90.

أرسطو: 04-05-20-21-36-37-42-43-65.

أفلاطون: 05-07-10-12-36-37-39-41-42-47-61-65-80.

ألاريك: 12.

المسيح: 58 -59-60-61-63-64-70-72-77-79-82-91.

أمبراوز: 05.

أمبرو سبوس: 05.

أوفيد: 05.

(ب)

باتريكوس: 04.

باتيليون الدوناتي: 12.

بارمنيان: 12.

بركليس: 46 .

بولس: 58-59-60-61-69-82-83-90.

بولينوس: 13 .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(ت)

توليس: 26.

تيرانس: 09.

(ج)

جالينوس: 55.

جيروم: 13.

(ح)

حواء: 60 -69.

(د)

دينوسيوس: 56.

(ز)

زينون الإيلي: 45.

(س)

سبتيموس سوبرس: 55.

ستيوارت ميل: 20.

سقراط: 36-37-38-39-42.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(ش)

شيشرون: 05-09-10-65.

(ع)

عيسى: 57-58-59-60-70-79.

(ف)

فورفوريوس: 10.

فيرجيل: 10.

فيلون الإسكندري: 48-49-58-61.

(ق)

قابيل: 64 -70.

قسطنطين: 56.

(ك)

كانط: 19-20-24-25.

كليمانت: 45.

(م)

ماني: 05-50.

مونيكا: 04.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(ن)

نيرون: 56.

(هـ)

هابيل: 70-71.

(ي)

يسوع: 59-60-61-70-72-83.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الأماكن والبلدان

(أ)

الإسكندرية: 47.

(ت)

تاغسطا: 04.

(ر)

روما: 05-09-12-49-55-56-57-58-78.

(س)

سوق اهراس: 04.

(ع)

عنابة: 06.

(ق)

قرطاجنة: 04.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(م)

معهد مادور: 09.

ميلانو: 05-09-56.

(ن)

نهر التيبر: 55.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس المصادر والمراجع

* القرآن الكريم

* الكتاب المقدس: دار الكتاب المقدس، مصر، القاهرة، ط1، 2003.

*** قائمة المصادر**

1-أوغسطين: الاعترافات، ترجمة الخوري يوحنا الحلو، دار المشرق، لبنان، بيروت، ط4، 1991.

2- مدينة الله،ترجمة الخور أسقف يوحنا الحلو، دار المشرق، بيروت، لبنان،ط2، ج1،2، 3، 2007.

3- مدينة لله، ترجمةج كومبيه، منشورات المكتبة الأوغسطينية، لبنان، بيروت ط4،ج3 ،2007.

4- تعليم المبتدئين أصول الدين المسيحي، ترجمة الخوري يوحنا الحلو، دار المشرق، لبنان، بيروت، ط1،2007.

*** قائمة المراجع**

5-أحمد أمين: الأخلاق، مطبعة دار الكتاب المصرية، مصر، القاهرة، ط1، 1921.

6-أحمد شلبي: المسيحية، مكتبة النهضة المصري، مصر، القاهرة، ط1،1998.

7-اميرة حلمي مطر: الفلسقة اليونانية "تاريخها ومشكلاتها"، دار قباء للطباعة والنشر والتوريع، لبنان، بيروت، ط1،دت.

8-أميرة حلمي مطر: جمهورية أفلاطون، مكتبة الأسرة، مصر، القاهرة، 1994.

9- ألبيرباية: أخلاق الإنجيل، ترجمة عادل العوى، دار كنعان، سوريا، دمشق، دط، دت.

10- إبراهيم شوقي إباضة وعبد العزيز الغنام: تاريخ الفكر السياسي، دار النجاح، لبنان، بيروت، 1993.

11- إدوارد جونوا: الفلسفة الوسيطية، دار الأندلس، لبنان، بيروت، 1986.

12-أنجلو شيكوني: أفلاطون والفضيلة، ترجمة منير سبعيني، دار الجيل، لبنان، بيروت، ط1، 1976.

13-إسماعيل زروخي: دراسات في الفلسفة السياسية، دار الفجر للنشر والتوزيع، مصر، لقاهرة، دط، دت.

14-إنين هنري جليسون: روح الفلسفة المسيحية في العصر والوسيط، ترجمة إمام عبد الفتاح إمام، مكتبة مدبولي، لبنان بيروت، ط3، 1996.

15- برباراباون: نظرة عن قرب في المسيحية، ترجمة مناف حسين الياسري، التوحيد لنشروالتوزيع، لبنان، بيروت، دت.

16- بطرس بطرس غالي ومحمود خيري عيسى: المدخل في علم السياسة، مطابع الأهرام التجارية المكتبة الانجلو مصرية، مصر، القاهرة،ط1، 1976.

17- توفيق الطويل: الفلسفة الخلقية نشأتها وتطورها، مكتبة النهضة العربية، مصر، القاهرة، 1973.

18- توفيق الطويل: مذهب المنفعة العامة في الأخلاق، مكتبة النهضة المصرية، مصر، القاهرة،ط1953،1.

19- جان جاك شوفاليه: تاريخ الفكر السياسي من المدينة إلى الدولة القومية، ترجمة محمد عرب صاصيك، مجد المؤسسة الجامغية لدراسات والنشر والتوزيع، لبنان، بيروت،ط2008،5.

20- جون لوك: رسالة في التسامح، ترجمة عبد الرحمان، دار الغرب، لبنان، بيروت، ط1، 1988.

21- حزبي عباس عطيتو وماهر عبد القادر محمد: دراسات في فلسفة العصور الوسطى، دار المعرفة الجامعية، لبنان، بيروت،2005.

22- حزبي عباس عطيتو: الفكر السياسي والديني في الإسكندرية القديمة، دار العلوم العربية،لبنان، بيروت،1992.

23- رأفت غنيمي الشيخ: فلسفة التاريخ، دار الثقافة والنشر والتوزيع، مصر، القاهرة.

24- سامي بن عبد الله بن أحمد المغلوث: أطلس الأديان، مكتبة العبيكان، السعودية، الرياض، ط5، 2007.

25- عبد الرحمن بدوي: فلسفة العصور الوسطى، وكالة المطبوعات، دار القلم، لبنان، بيروت، ط5، 1983.

26- عبد العزيز محمد: القيم الفلسفيةالكبرى"الحق، الخير، والجمال"، مؤسسة الثقافةالجامعية.

27- عبد المجيد عمراني: محاضرات في تاريخ الفكر الفلسفي السياسي، منشورات الخبر، الجزائر، بني مسوس، ط1 2008.

28- عزت قرني: الفلسفة اليونانية حتى أفلاطون، دار ذات السلاسل، الكويت، 1993.

29- علي بوملحم: المناحي الفلسفية عند الجاحظ، دار مكتبة الهلال، لبنان، بيروت، ط1،1941.

30- علي زيعور: الفلسفة في أوروبا، دار الأندلس، لبنان، بيروت،1986.

31- علي زيعور: الفلسفة في أوربا الوسيطية في عصر النهضة والإصلاح، المكتب العالمي للطباعة والنشر، لبنان، بيروت.

32- علي زيعور: أوغسطينوس مع مقدمات في العقيدة المسيحية والفلسفة الوسيطية، دار اقرأ، لبنان، بيروت، ط1، 1983.

33- عوض سمعان: فلسفة العصور الوسطى، "كيفية الإفادة من كفار المسييح"، ،دار المعرفة، لبنان، بيروت،2005.

34- فريدريك نيتشه: أصل الأخلاق وفصلها، ترجمة حسن قبيسي، المؤسسة الجامعية لدرسات والنشر والتوزيع، لبنان، بيروت.

35- ليوشتراوس وجوزيف كروبسي: تاريخ الفلسفة السياسية من ثيوكيديدس حتى اسبينوزا، ترجمة محمود سيد أحمد، مراجعة وتقديم إمام عبد الفتاح إمام، المجلس الأعلى لثقافة، مصر، القاهرة،ج1، 2005.

36- ماجد فخري: تاريخ الفلسفة اليونانية من طاليس إلى أفلوطين وبرقليس، دار العلم الإسلامي، لبنان، بيروت، ط1، 1991.

37- محمد أبو زهرة: محاضرات في النصرانية، طبعةالرئاسة للبحوث العلمية، الرياض، دت.

38- محمد بو الروايح: أضواء على الطوائف الدينية المعاصرة، نوميديا للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، قسنطينة،2010.

39- محمد صالح محمد السيد: الخير والشر عند القاضي عبد الجبار، دار قباء لنشر والتوزيع، لبنان، بيروت،1998.

40- محمد عبد الرحمن عوض: الخلاص من الخطيئة في مفهوم اليهودية والمسيحية والإسلام، دار البشير لطباعة والنشر والتوزيع، مصر، القاهرة.

41- محمد مجدي مرجان: المسيح إنسان أم إله، مكتبة النافذة، لبنان، بيروت، 2004.

42- محمد حمدي صبحي زقزوق: دراسات في الفلسفة الحديثة، دار الفكر العربي، مصر القاهرة، ط1،1993.

43- محمد مهران رشوان: تطور الفكر الأخلاقي في الفلسفة الأخلاقية الغربية، دار قباء لطباعة والنشر، لبنان، بيروت،1992.

44- مصطفى النشار: تاريخ الفلسفة اليونانية من منظور شرقي، دارقباء لنشر والتوزيع، لبنان، بيروت، ط1،ج1، 1998.

45- مصطفى النشار: مدرسة الإسكندرية التراث الشرقي في الفلسفة اليونانية، دار المعارف، لبنان، بيروت، ط1،1995.

46- مصطفى النشار: تطور الفلسفة السياسية من صولون حتى إبن خلدون، الدارالمصرية لنشر والتوزيع، مصر، القاهرة،2005.

47- مصطفى عبده: فلسفة الأخلاق، مكتبة مدبولي، مصر، القاهرة، ط2، 1999.

48- مصطفى غالب: في السبيل، موسوعة فلسفية، منشورات ومكتبة الهلال، لبنان، بيروت، ط1، ج1، 1983.

49- منصور علي رجب: تأملات في فلسفة الأخلاق، مطبعة المخيمر، مصر، القاهرة، ط1،1953.

50- موسى معيرش: قضايا الفلسفة العامة، دار بهاء الدين لنشر والتوزيع، الجزائر، قسنطينة، ط1،2009.

51- هاشم يحي الملاح: المفصل في فلسفة التاريخ، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ط1 2007.

52- ولترستيس: تاريخ الفلسفة اليونانية، ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد، دار الثقافة والنشر والتوزيع، لبنان، بيروت،1984.

53- يوسف كرم: الفلسفة اليونانية، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، لبنان، بيروت،1982.

54- يوسف كرم : تاريخ الفلسفة الأوروبية في العصر الوسيط، دار النجاح، لبنان، بيروت، دت.

*** قائمة المعاجم والموسوعات**

55- إبراهيم مذكور: المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، لبنان، بيروت،ج1، 1998.

56- إبن منضور: لسان العرب، دار صادر، لبنان، بيروت، ط4،مج5، 8، 2005.

57- تدهوندرش: دليل أكسفورد، ترجمة نجيب حصاد، المكتب الوطني للبحث والتصوير، ليبيا، طرابلس، ج1، دت.

58- جميل صليبا: المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، لبنان، بيروت،ج1، 1988.

59- عبد الرحمن بدوي: موسوعة الفلاسفة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، لبنان، بيروت، ط1،ج1984،1.

60- مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولي، مصر، القاهرة، ط4، 2004.

61- ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار صادر، بيروت،ج4، 1977.

فهرس الموضوعات

المقدمة .....أ

الفصل التمهيدي: ترجمة للقدّيس أوغسطين

المبحث الأول: حياته وفكره

المولد والنشأة.....04

وفاته 06

فكره 06

المبحث الثاني: ثقافته ومؤلفاته

ثقافته 09

مؤلفاته 11

الفصل الأول: طبيعة الخير والشرّ

المبحث الأول: المفهوم الخير

تعرف الخير لغة واصطلاحا.....17

الخير بين المطلق والنسبي 20

الأفعال الخيرة وعلاقتها بالإرادة 23

علاقة الخير بالحق والجمال 25

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الثاني: مفهوم الشرّ

تعريف الشرّ لغة واصطلاحا.....27

مشكلة الشرّ 28

أنواع الشرّ 30

المبحث الثالث: الخير والشرّ(أصلهما و قيمتهما)

أصل وجود الخير والشرّ في الكون 32

إدراك القيمة الأخلاقية للخير والشرّ.....33

الفصل الثاني: الخير والشرّ قبل عصر القدّيس أوغسطين

المبحث الأول: ظهور الخير والشرّ في الفكر الأخلاقي اليوناني

الخير و الشرّ في فلسفة سقراط الأثيني 37

الخير والشرّ في فلسفة أفلاطون 39

الخير والشرّ في فلسفة أرسطو 42

الخير والشرّ في الفلسفة الأبيقورية والرواقية 43

المبحث الثاني: الخير والشرّ في الفكر الأخلاقي الهيلينستي والروماني

الخير والشرّ في الفلسفة الأفلاطونية الحديثة 47

الخير والشرّ في فلسفة فيلون الإسكندري 48

الخير الشرّ في المانوية 50

الفصل الثالث : الخير والشرّ في فكر القديس أوغسطين

المبحث الأول: المسيحية في عصر القديس أوغسطين

الأوضاع الفكرية والسياسية في عصر القديس أوغسطين 55

ظهور المسيحية وتطورها 57

الأخلاق المسيحية وعلاقتها بالخير والشر 61

المبحث الثاني: الخير والشرّ في فلسفة أوغسطين

مفهوم الخير والشرّ في المدينتان (الإلهية والأرضية).....63

أصل وجود الخير والشرّ عند أوغسطين 67

صور الخير والشرّ وغايتهما عند أوغسطين 73

المبحث الثالث: أثر وجود الخير والشرّ في المجتمع المدني

السعادة والفضيلة 80

الجزاء والمسؤولية 82

القانون والعدالة وأثرهما في المجتمع المدني.....84

القانون عند أوغسطين 84

العدالة عند أوغسطين.....86

الخاتمة 90

فهرس الفرق والمذاهب 94

فهرس الأعلام 95

فهرس الأماكن والبلدان 99

فهرس المراجع.....101

فهرس الموضوعات 108

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية